المرأة في المحرقة

ليونور ج. وايتزمان، أستاذة فخرية، جامعة جورج ماسون

قد تسأل عن السبب الذي يدعونا إلى التحدث عن المرأة في حين أننا نعلم أن النازيين قد قتلوا ستة ملايين يهودي بغض النظر عن كونهم رجالا أو نساء أو أطفالا[1].

وأحد الأجوبة هو أن التركيز على مجموعة بعينها يساعدنا على تقسيم هذا العدد الرهيب، وهو ستة ملايين، كما يساعدنا على التفكير في الأفراد.

فعندما نسمع عن أم احتفظت بقطعة الخبز الواحدة التي أخذتها من مصنع الغيتو من أجل ''الغذاء'' لتتشاطرها مع أطفالها الواهنين في المنزل؛ وعندما نسمع عن مراهقة كانت تساعد جدتها، وتساندها في سيرها على الطريق المنحدر في أوشفيتز، وأرسلت في نهاية المطاف معها إلى غرف الغاز، نفهم أنهن كن نساء عاديات مثلنا – مثل أمهاتنا وأخواتنا، ومثل بناتنا وحفيداتنا – أناس أبرياء عاديون وقعوا في شرك الإرهاب النازي.

وإجابة ثانية هي أن التركيز على المرأة يزودنا بفهم أكثر تفصيلا ودقة واكتمالا لما حدث لليهود خلال المحرقة.

وهذه الورقة تستطلع ثلاث مجالات للفروق الجنسانية:

١ – أولا، كيفية صياغة أدوار النساء قبل الحرب لتجارهن أثناء المحرقة؛

٢ – ثانيا، كيف عاملت السياسة الألمانية النساء بشكل مختلف؛

٣ – ثالثا، كيف استنبطت المرأة اليهودية طرقا مختلفة لتحمل المعيشة في الغيتوهات والمعسكرات.

١ – أدوار ما قبل الحرب:

نستطلع أولا أدوار الرجال والنساء قبل المحرقة، عندما كانت المرأة مسؤولة بشكل رئيسي عن أطفالها وأسرتها ومترلها، وكان الرجل مسؤولا عن الدعم الاقتصادي لأسرته.

---

(١) إنني مدينة للأستاذة داليا أوفر بالجامعة العبرية في القدس، التي اشتركت معي في كتابة المقالة الأصلية عن ''المرأة في المحرقة'' ''Women in the Holocaust'' التي تعد أساسا لهذا الحديث. ونُشرت المقالة لأول مرة في كتابنا الذي اشتركنا في تحريره، المرأة في المحرقة Women in the Holocaust، مطبعة جامعة ييل، ١٩٩٨.

وقد زودت هذه الأدوار الجنسين بمجالات مختلفة للمعرفة والمهارات والتجارب الحياتية التي يواجهون بها هجمات النازي.

وعلى سبيل المثال، ففي ألمانيا النازية عندما أُقر أول القوانين ضد اليهود وفُصلوا من وظائفهم ومهنهم، تضرر الرجال اليهود بصورة مباشرة. فالرجال الذين أنفقوا حياتهم كلها في العمل، طردوا بشكل مفاجئ من أعمالهم وقطعوا عن زملائهم في العمل ونظامهم اليومي المعتاد[٢]. ولأن الرجال أجبروا على أن يكونوا عديمي الجدوى و لم يعد باستطاعتهم إعالة أسرهم فقد شعروا بالإذلال من جراء فقدانهم دخولهم وأوضاعهم واحترامهم لذاتهم. ولذلك فليس من المستغرب أن يرتفع معدل انتحار الذكور ارتفاعا كبيرا خلال هذه الفترة[٣].

أما بالنسبة للمرأة اليهودية، فبخلاف الرجل، كان للسنوات الأولى من النظام النازي أثر عكسي عليها، فقد دفعتها للمزيد من العمل وتحمل مسؤولية أكبر؛ حيث حاولت إدارة أسرتها المعيشية بنقود أقل وبدون مساعدة، وشراء الأغذية من متاجر معادية، ومساعدة أطفالها الخائفين على مواجهة المضايقات في المدرسة، وتوفير العزاء والسلوى لزوجها[٤].

والواقع أنه حتى شباط/فبراير ١٩٣٨، بعد خمس سنوات من تولي هتلر السلطة، كانت مقالة في صحيفة ألمانية يهودية لا تزال تحض المرأة اليهودية على ''إضاءة الشموع وبعث البهجة في منزلها''[٥].

٢ - السياسات الألمانية:

كانت السياسات الألمانية ومجموعة القواعد والأنظمة التي تستهدف المرأة اليهودية بصفة خاصة مصدرا ثانيا للفروق الجنسانية.

و كانت أحد الأمثلة المؤلمة السياسة التي حظرت الحمل وولادة الأطفال اليهود في ليتوانيا. وكان الأطباء اليهود في الغيتوهات مطالبين بالإبلاغ عن كل حالة من حالات الحمل وإجراء إجهاض لإنهائها. وكانت عقوبة عدم الامتثال هي الموت للمرأة وللطبيب.

---

(٢) ماريون كابلان، ''بين الكرامة واليأس: الحياة اليهودية في ألمانية النازية'' *Between Dignity and Despair: Jewish Life in Nazi Germany* (مطبعة جامعة أوكسفورد، ١٩٩٩) الصفحات ٢٤-٢٩.

(٣) كريستيان غوشيل، الانتحار في ألمانيا النازية *Suicide in Nazi Germany* (مطبعة جامعة أوكسفورد، ٢٠٠٩).

(٤) ماريون كابلان، ''الحفاظ على الهدوء والصمود في وجه العاصفة: استجابات اليهوديات بخصوص الحياة اليومية في ألمانيا النازية'' Keeping Calm and Weathering the Storm: Jewish Women's Responses to Daily life in Nazi Germany'' في أوفر ووايتزمان، ''المرأة في المحرقة، ١٩٩٨، الصفحتان ٤٢-٤٣.

(٥) المرجع نفسه، الصفحة ٤٣.

فعلى سبيل المثال، نص الأمر الصادر في ٢٤ تموز/يوليه ١٩٤٢ في غيتو كوفنو على ''ضرورة إنهاء حالات الحمل. وسيجري إطلاق الرصاص على الحوامل''[٦].

وبرغم عقوبة الإعدام قررت بعض الشابات في غيتو كوفنو تحدي هذا الأمر والإبقاء على الحمل. وقد شاركت هؤلاء النساء في **عمل واع من أعمال المقاومة** لأنهن لم يرون السماح للألمان بحرمانهن من تجربتي الولادة والأمومة[٧].

وكان من حسن حظهن العثور على طبيب يهودي، دكتور ابراهام بيريتس، الذي وافق على مساعدتهن – مجازفا بحياته – وحمايتهن طيلة حملهن (رغم علمهم جميعا باحتمال القبض عليهم وقتلهم)[٨].

(ويذكرنا هذا المثال أيضا بأهمية التحري عن كيفية استجابة اليهود للأوامر الألمانية – وكيف حاولوا التصدي لها ومقاومتها – بدلا من التعامل مع المراسيم الألمانية بوصفها أمرا واقعا).

وكانت عقوبة الحمل الإعدام للنساء في معسكرات الاعتقال أيضا، حيث اختيرت الحوامل – والنساء التي لديهن أطفال – للقتل الفوري.

وتحدد عملية الاختيار على الطريق المنحدر للوصول إلى معسكر الاعتقال أوشفيتز من سيجري إرساله إلى العمل القسري ومن سيجري إرساله إلى غرف الغاز ليموت. أولئك اليهود الذين بدوا على قدر كاف من القوة أرسلوا إلى جانب، أما من بدوا أصغر أو أكبر أو أضعف من أن يعلموا أرسلوا إلى الجانب الآخر، وهو الجانب الذي أدى بهم إلى غرف الغاز.

وكان الاستثناء الوحيد لهذه القاعدة للمرأة التي تحمل طفلا بين ذراعيها أو تمسك بأيدي أطفالها. وحتى إذا بدت هذه المرأة بصحة جيدة وقادرة على العمل فإنها ترسل تلقائيا إلى غرف الغاز إذا كانت تمسك بطفل.

---

(٦) المتحف التذكاري للمحرقة بالولايات المتحدة، التاريخ المستتر لغيتو كوفنو Hidden History of the Kovno Ghetto (Little Brown and Company, 1997)، الصفحة ٢٤٥. انظر أيضا يوميات دكتور أهارون بيك في غيتو شافلي: كتابات من منطقة الموت، مذكرات كتبت في غيتو شافلي، ليتوانيا خلال الفترة ١٩٤٢-١٩٤٤ Writings from the Death Area, Memoirs Written in the Ghetto of Shavli Lithuania During (بالعبرية).

(٧) أهارون بيريتس، Ba-mahanot lo bakhu: reshimot shel rofe (بالعبرية فقط) (لم يبكوا في المخيمات: مذكرات طبيب) (تل أبيب: الناشر مسعده، ١٩٦٠)، الصفحة ٣٦.

(٨) المرجع نفسه.

وبعض اليهود الذين كانوا يعملون في الطريق المنحدر للوصول إلى أوشفيتز، ممن كانوا يعلمون بالطبع بما سيحدث لهؤلاء الأمهات، ابتكروا طريقة لمحاولة إنقاذ بعضهن. وأخبروا الأمهات هامسين ''تأكدي من إعطاء طفلك لجدته'' لأن العاملين كانوا يعرفون أن جميع المسنات سيرسلن إلى غرف الغاز على أية حال، وكانوا يأملون في إنقاذ حياة الأمهات إذا لم يكنَّ ممسكات بأطفالهن.

٣ - ردود الفعل المختلفة واستراتيجيات المواجهة:

ننتقل الآن إلى المجال الثالث للفروق الجنسانية، استجابات الرجال والنساء اليهود في الغيتوهات والمعسكرات.

٣ أ - ردود الفعل واستراتيجيات المواجهة في الغيتوهات:

في أوروبا الشرقية، حيث وجدت الغيتوهات، كانت المحرقة أكثر عنفا بكثير من أوروبا الغربية. وعلى سبيل المثال، ففي ألمانيا استغرق تنفيذ أكثر من ٤٠٠ قانون ضد اليهود ست سنوات - من عام ١٩٣٣ إلى عام ١٩٣٩[٩].

وعلى العكس من ذلك، ففي بولندا تم اتخاذ نفس التدابير في غضون أشهر، وصاحب ذلك منذ البداية عنف بدني.

وأُرغم اليهود في بولندا بعد ذلك على التواجد في غيتوهات مزدحمة محاصرين خلف بواباتها وجدرانها. وقد جُردوا من منازلهم ومهنهم ومنعوا من التصرف في حساباتهم المصرفية وعُزلوا عن وظائف ومتاجرهم ومكاتبهم وأعمالهم.

وأصبح الرجال اليهود، وبخاصة الأكثر وضوحا بسبب لحاهم وملابسهم التقليدية، على الفور هدفا للضرب والإذلال والمضايقة والاحتجاز والإعدام. وتعرض الكثيرون للاعتداء ونُزعت عنهم لحاهم وجرى الاستهزاء بهم والسخرية منهم في الشوارع وأرسلوا إلى الأعمال القسرية القاسية.

ولذلك فليس من المستغرب أن كثيرا من الرجال اليهود كانوا خائفين من مغادرة منازلهم خلال النهار، واعتمدوا بصورة متزايدة على زوجاتهم في التعامل مع العالم الخارجي. ونتيجة لذلك، بدأت الزوجات في القيام بكثير من الأدوار التي كان يقوم بها أزواجهن سابقا.

---

(٩) مايكل برينباوم، العالم يجب أن يعرف The World Must Know (Little Brown & Co, 1993)، الصفحة ٢٢.

وعلى سبيل المثال، كتب المؤرخ البارز لغيتو وارسو إمانويل رنغلبلوم في يومياته:

''(ال) رجال لا يخرجون ...
إنها تقف في طابور طويل (من أجل الخبز) ...
عندما تكون هناك حاجة للذهاب إلى الجستابو، تذهب الابنة أو الزوجة ...
النساء في **كل مكان** ...
(المرأة) التي لم تفكر مطلقا في العمل تؤدي الآن أصعب الأعمال البدنية''(١٠).

لكن **كيف** تسنى لهؤلاء النساء، اللاتي لم يسبق لمعظمهن مطلقا العمل خارج المنزل، إعالة أسرهن؟

وفي الواقع فمعظمهن **لم يمكنه أن يفعل ذلك**. وحصل بعض هؤلاء النساء على وظائف في مصنع الغيتو وفرق العمل ومطابخ الحساء، بينما قامت أخريات بخدمات التنظيف الخاصة أو الغسيل أو رعاية الأطفال. ولكن كان هناك نقص شديد في الوظائف، ولم تتمكن غالبية النساء من العثور على أعمال عادية.

(في وارسو، على سبيل المثال،كان حوالي نصف المقيمين في غيتو وارسو في أيلول/سبتمبر ١٩٤١، من ٢٠٠ ألف إلى ٢٥٠ ألف شخص، بدون وظائف **وكانوا يموتون جوعا**، وكان معظمهم من النساء والأطفال(١١).

ودفع هذا بالكثير من النساء إلى اللجوء إلى ''مهنة'' التهريب الخطيرة وغير المشروعة بصفتها الطريقة الوحيدة لإطعام أطفالهن(١٢). وكان على هؤلاء النساء أولا الهروب من الغيتو ثم العثور على أشخاص من غير اليهود على استعداد لشراء ممتلكاتهن التي يعتزون بها مقابل الغذاء. وشيئا فشيئا تخلين عن أثوابهن المفضلة ولوازم أسرَّتهن التي حصلن عليها من مهورهن، وفي نهاية المطاف خواتم زواجهن(١٣).

---

(١٠) إمانويل رنغلبلوم، يوميات ومذكرات من فترة الحرب: غيتو وارسو *Diary and Notes from the War Period: Warsaw Ghetto* (بالعبرية) (القدس: ياد فاشيم، ١٩٩٢)، الصفحتان ٥١-٥٢.

(١١) لينور ج. وايتزمان وداليا أوفر، ''مقدمة'' المرأة في المحرقة Women in the Holocaust to "Introduction" ، ١٩٩٨، الصفحة ٩.

(١٢) داليا أوفر، ''قضايا جنسانية في يوميات وشهادات الغيتو'' في المرأة في المحرقة "Gender Issues in Diaries and Testimonies of the Ghetto," in Women in the Holocaust، ١٩٩٨، الصفحات ١٥٢-١٦٢.

(١٣) المرجع نفسه.

وبينما قد يدهشنا أن نعلم أن كثيرا من النساء أصبحن مهربات للأغذية، نفهم ذلك بشكل أفضل عندما نعلم أن حصص السعرات للأشخاص في غيتو وارسو كانت لا تتعدى ١٨١ سعرا لكل شخص في اليوم.

لكن في نهاية المطاف، ورغم جميع جهودهن، فنحن نعلم أن معظم النساء لم يتمكّن من إعالة أسرهن، فالصعاب الوحشية في الغيتوهات تكاتفت ضدهن.

وتبين جهودهن التي تنفطر لها القلوب أنهن حاولن بكل ما في وسعهن – بما في ذلك حرمان أنفسهن من الغذاء – الإبقاء على حياة أطفالهن. إلا أن معظم هؤلاء النساء استنفدن تدريجيا جميع مواردهن وقواهن.

وتضحية الأمهات اليائسة هذه كانت الموضوع الأكثر شيوعا في يوميات الغيتو. فمثلا وصف داود سيراكوياك البالغ من العمر ١٥ سنة أمه الهزيلة عشية ترحيلها من غيتو لودز (في بولندا) قائلا:

‘‘أمي الصغيرة الهزيلة،
التي عانت من الكثير من النكبات ...
(إنها) كرست كل حياتها للآخرين ...
أمي المسكينة التي تحملت دائما كل شيء ...
ووافقت عندما قلت لها أنها قد **وهبت حياتها**
لتوفير الطعام وتقديمه،
ولكني ... رأيتها غير نادمة على شيء’’[(١٤)].

٣ ب – المرأة في المقاومة اليهودية:

بينما كان هذا مصير معظم نساء الغيتو، من المهم أن نذكر مجموعة صغيرة من غير الأمهات أو مقدمات الرعاية، ولهذا فقد كنَّ ‘‘أحرارا’’ بالنسبة للاشتراك في المقاومة اليهودية في الغيتوهات.

وهؤلاء النساء كنَّ صغيرات وغير متزوجات، بدون أعباء أسرية، وشاركن بنشاط في المجموعات التي خططت لثورات الغيتوهات.

---

(١٤) داود سيركوياك، يوميات داود سيركوياك: خمسة كتيبات من غيتو لودز *The Diary of Dawid Sierakowiak: Five Notebooks from the Lodz Ghetto*، ترجمة آلان أدلسون (مطبعة جامعة أوكسفورد، ١٩٦٦، الصفحتان ٢١٩-٢٢٠..

وكانت المقاومة اليهودية أحد الميادين التي قامت فيه المرأة بأدوار القيادة على قدم المساواة مع الرجل. وفي كثير من الغيتوهات، بما فيها غيتو وارسو، كانت نساء مثل زيفيا لوبتكين بين القادة المركزيين للثورة. والواقع أن زيفيا لوبتكين كانت واحدة من ثلاثة قادة من قواد ثورة غيتو وارسو، وقد اعتُرف بها على نطاق واسع ملهمة قوية لموقفهم التاريخي من أجل الشرف اليهودي.

كما اضطلعت النساء بأدوار هامة في الأشكال الأخرى للمقاومة في الغيتوهات – فقمن بإنشاء المدارس غير القانونية والمكتبات السرية وإحياء المناسبات الثقافية السرية وكثيرا ما تصدرن الجهود السرية لإنقاذ غيرهن من اليهود.

ومن المجموعات النسائية الأخاذة في المقاومة اليهودية مجموعة الساعيات السريات التي عملت خارج الغيتوهات، وهن محط اهتمام بحثي الحالي. وهؤلاء الشابات، ويعرفن بالكاشاريوت، كن يسافرن بطرق غير قانونية متنكرات في زي غير يهودي. وكن يهرِّبن الأخبار والمعلومات والأموال والطعام واللوازم الطبية والوثائق المزورة وغيرهن من اليهود داخل وخارج الغيتوهات في شرق أوروبا. وكانت مهامهنَّ تستلزم بسالة وشجاعة وجراءة وأعصاب فولاذية.

وبمجرد معرفة هؤلاء الساعيات بعمليات القتل الجماعي قمن بتحذير اليهود في الغيتوهات النائية التي كانت معزولة عن الأخبار والمعلومات. وكن يرغبن في الوصول إلى اليهود المنعزلين قبل أن يخدعهم الألمان بوعود ''إعادة التوطين'' بينما يخططوا في الواقع لإرسالهم بالقطارات إلى مخيمات الموت.

وحثت الساعيات اليهود على ألا يركبوا القطارات، بل ينضموا بدلا من ذلك إلى الحركة اليهودية السرية ويقاوموا – عن طريق إبلاغ الآخرين بحقيقة طبيعة الترحيلات، وبناء الملاجئ للأشخاص الأكثر ضعفا، والقتال ومقاومة الألمان بأية طريقة مستطاعة. كما عملت الكاشاريوت على اقتناء الأسلحة والذخيرة وتهريبها إلى الغيتوهات للثورات المخطط لها. وكانت مهمتهنَّ الأخيرة إنقاذ اليهود الآخرين من الغيتوهات المشؤومة وتزويدهم بالوثائق المزورة والدور والنقود والدعم المعنوي.

ورغم أنه لم يكن بوسع معظم النساء أن يقمن بما قامت به هؤلاء الشابات الجريئات، فمن المهم أن نتذكر بطولتهن والدور الخاص الذي اضطلعن به في المقاومة اليهودية.

٣ ج – ردود الفعل واستراتيجيات المواجهة في المخيمات:

في الختام، دعونا ننظر في ردود فعل النساء في معسكرات الاعتقال واستراتيجياتهن للمواجهة.

ومن أكبر الاختلافات بين تجارب الرجال والنساء في معسكرات الاعتقال ردود فعلهم إزاء ''تجهيزهم'' المبدئي.

وأُرغمت النساء اللاتي جرى اختيارهن للعمل أولا على نزع ثيابهن والوقوف عاريات أمام الحراس الذكور الألمان، بينما جرت حلاقة جميع أجزاء أجسادهن ووشمها بالأرقام. ووصفت الناجيات هذه العملية بأنها مؤذية ومُحِطَّة ومهينة ومؤلمة. وبكت الكثيرات من الاعتداء والعار – الذي كثيرا ما ازدادا حدة عند مشاهدة المرأة لأمها أو لابنتها تتعرض لنفس الوحشية – بينما تجبرهن على الوقوف موقف العاجزة.

وبينما وصف الرجال اليهود أيضا العملية المُحِطَّة لانتزاع هوياتهم عنهم، فلم يكونوا مضطربين عاطفيا مثلهم مثل النساء. وعندما كتب الرجال اليهود عن عملية التجهيز بدا أن أكثر ما يزعجهم كانت الطريقة التي عوملت بها **زوجاتهم وأمهاتهم وبناتهم**. وفي الواقع كان رد فعل الرجال كما لو كانوا تعرضوا شخصيا للاعتداء نتيجة لإهانة نسائهم.

وبمجرد دخول المعسكرات، نجد ثلاث استراتيجيات للمواجهة تنفرد بها النساء.

الأولى هي الطريقة التي واجهت بها النساء الجوع. ورغم أن ذلك قد يبدو مناقضا للأمور البديهية، فقد كن يتحدثن عن الوجبات والطعام الذي كنَّ يقدمنه في الأعياد اليهودية، كما تقاسمن وصفات الطعام المفضلة لديهن، مثل سمك الجيفلت أو الكولينت[١٥].

وفي الليل في الثكنات كن يحكين لبعضهن قصصا عن حفلات العشاء الأسرية الخاصة وكيفية احتفالهن بكل عيد من الأعياد اليهودية. وتقول بعض الناجيات إن لهذه المحادثات آثار مشبعة. بيد أن هذه المناقشات، سواء كان لها هذا الأثر بالفعل أم لا، قد أكدت بشكل واضح هويات النساء كأمهات وزوجات وبنات. وكان هذا مهما في مكان كانت به خطة صريحة لتدمير تلك الهويات وتجريدهن من إنسانيتهن.

وكانت الاستراتيجية الثانية للمواجهة استخدام النساء المستمر لمهاراتهن في إعداد المنزل وتهيئة أنفسهن. فعلى سبيل المثال فقد بذلن مجهودا لتحسين مظهرهن عن طريق قرص خدودهن ليبدون في صحة أفضل، وحك شعورهن الرمادية بالفحم الأسود ليبدون أصغر سنا.

---

(١٥) انظر على سبيل المثال ميرنا غولدنبرغ ''ذكريات الناجيات من أوشفيتز: عبء الجنسانية'' في النساء في المحرقة (Women in the Holocaust)، الصفحة ٣٣٥.

و لم يحسن هذا من فرصة اعتبارهن صالحات للعمل أثناء عمليات النداء و ''الاختيار'' التي لا تنتهي فحسب، بل ساعدهن أيضا على الحفاظ على مظهر أكثر إنسانية وعلى كرامتهن. وفضلا عن ذلك، وكما لاحظت فيلشيا كاراي، حثت عناية النساء بنظافتهن الشخصية ومظهرهن مراقبيهن في معسكرات العمل على معاملتهن بشكل أكثر إنسانية(١٦).

أما الاستراتيجية الثالثة للمواجهة فكانت إقامة علاقات ''أخوات المعسكر''، وهي العلاقات التي قامت فيها امرأتان بدعم ومساندة بعضهما البعض كأنهما أختان، بتشاطرهما الطعام والموارد الأخرى ومحاولة كل منهما حماية الأخرى من التهديدات والاعتداءات ورعايتها عندما تمرض. وكان لهذا أهمية خاصة أثناء عمليات النداء عندما كان النساء يطالبن بالوقوف لساعات بلا نهاية، وكانت المريضات يحتجن إلى أخوات المعسكر لدعمهن(١٧).

كما شجعت أخوات المعسكر بعضهن البعض على عدم اليأس والبقاء على قيد الحياة. ولذلك فمن غير المستغرب أن تشير كثير من الناجيات إلى أخواتهن في المعسكر بصفتهن السبب في ''بقائهن على قيد الحياة'' من الناحيتين البدنية والعاطفية. وبالإضافة إلى ذلك، فكثيرا من النساء تحدثن عن شعورهن بضرورة البقاء على قيد الحياة ليتمكن من مساعدة أخواتهن في المعسكر.

٤ - خاتمة:

في البداية، افترض الكثير منا أن معرفتنا بالمزيد عن المحرقة سيمدنا بالأدوات التي تضمن ألا تتكرر مطلقا. ومع ذلك فقد شهدنا الكثير جدا من الفظائع وعمليات القتل الجماعي في السنوات التي أعقبت ذلك، وفي معظم الأحوال رأينا النساء، على الأخص، يتعرضن للإيذاء. وفضلا عن ذلك، رأينا مؤخرا ظاهرة الاغتصاب المروعة تستخدم كسلاح من أسلحة الحرب.

وقد يقودنا ذلك، بادئ ذي بدء، إلى أن نستنتج أننا لم نحرز أي تقدم منذ المحرقة. **ولكننا في الوقت نفسه رأينا أيضا شيئا لم يحدث مطلقا أثناء المحرقة.** رأينا المجتمع الدولي ينهض ويجهر برأيه ويحاول إيقاف هذه الأعمال للإبادة الجماعية.

---

(١٦) فيليشيا كاراي، ''المرأة في معسكرات العمل القسري'' في أوفر ووايتزمان، "Women in the Forced-Labor Camps"، ١٩٩٨، الصفحة ٣٠٥.

(١٧) برانا غوريويتش، الأمهات، الأخوات، المقاومات Mothers, Sisters, Resisters (مطبعة جامعة ألباما، ١٩٩٨)، الصفحتان ١٨و١٩.

وبالإضافة إلى ذلك، رأينا المجتمع الدولي يعرّف استهداف النساء بشكل محدد بوصفه جريمة حرب والاغتصاب بوصفه جريمة ضد الإنسانية.

وبينما نرتجف إزاء فظاعة أعمال الإبادة التي تحدث اليوم في يوغوسلافيا السابقة ورواندا ودارفور ينبغي أيضا أن نفكر في أن هذه الأحداث كان يمكن أن تكون أسوأ من ذلك وأن تستمر لفترة أطول لو تم تجاهلها، كما جرى تجاهل المحرقة، **ومقابلة المجتمع الدولي لها بالصمت الذي كان سائدا خلال المحرقة.**

ولذلك فرغم معرفتنا بأن المجتمع الدولي يستطيع، بل وينبغي له، أن يفعل المزيد، يمكننا أيضا أن نشير إلى الجوانب الكثيرة التي ساعدت فيها الدروس المستفادة من المحرقة بالفعل على تغيير مسار التاريخ الحديث.

أسئلة للمناقشة:

١ - كيف أثر الواقع المتغير تحت الحكم النازي في ألمانيا على أدوار النساء داخل أسرهن؟

٢ - كيف واجهت النساء الحياة في الغيتوهات والمعسكرات؟

٣ - كيف اختلفت تجارب النساء عن تجارب الرجال؟

٤ - ما أهمية التعرف على تجارب النساء خلال المحرقة؟

٥ - ماذا يمكن للمجتمع الدولي أن يفعل للمساعدة على حماية النساء من العنف اليوم، وبخاصة في حالات النزاع؟

الأستاذة **لينور ج. وايزمان** ألفت/حررت خمسة كتب وعديد من المقالات بما في ذلك المرأة في المحرقة (ييل، ١٩٩٩)، وشاركت في التحرير الأستاذة داليا أوفر. وقد ركز هذا العمل الأساسي على أهمية الجنسانية في الحرب العالمية الثانية، وكان موضوع الكلمة الرئيسية التي ألقتها في احتفال الأمم المتحدة التذكاري السنوي للمحرقة في عام ٢٠١١. وهي تستكمل الآن كتابا عن ''الكاشاريوت''، وهن الشابات اللاتي كن ''ساعيات'' سريات لحركات المقاومة اليهودية في الغيتوهات. ويؤرخ هذا الكتاب لمهامهنَّ الشجاعة للوصول إلى اليهود المحاصرين خلف جدران الغيتو ولتعبئة أعمال المقاومة والثورة والإنقاذ. وتشغل لينور وايتزمان منصب أستاذ علم الاجتماع بجامعات ستانفورد وكاليفورنيا وجورج ماسون وهارفارد، حيث حصلت على جائزة في بيتا كبَّا للتدريس المتميز. وفي العام الدراسي ٢٠١١-٢٠١٢ ستشغل منصب أستاذ زائر في معهد فرنكل بجامعة ميشيغان.

القانون كعامل للتعجيل بالإبادة الجماعية

دافيد ماتاس مستشار فخري أقدم لمنظمة بناي بريث، كندا ومحامي في وينيبيغ، كندا

في الرايخ الثالث، تخلل تواطؤ المهنة القانونية في الاضطهاد النازي هيئة المحكمة والادعاء، وحتى محاميّ الدفاع. وساعدت القوانين، ومن قاموا بدعمها، على إضفاء الشرعية على التعصب الغاشم وتيسير تهميش واستبعاد اليهود من المجتمع. ويثير هذا عديدا من الأسئلة التي تستحق التحقيق. ألم يكن هناك معيار دولي للأخلاقيات كان ينبغي للشرفاء من القضاة وأعضاء المهنة القانونية أن يتبعوه؟ ماذا كان سيحدث لو رفض أعضاء المهنة القانونية التعاون؟ ولِمَ لم يفعلوا ذلك؟ ما هو تأثير ذلك على المرتكبين؟

وهناك حالة من حالات معارضة ممارسات النازي قام بها القاضي لوثر كريسيغ من براندبرغ، ألمانيا، قد تقدم بعض الإجابات. فقد لاحظ القاضي كريسيغ، المكلف بحالات الوصاية، أن عددا من الموضوعين تحت وصايته من الأطفال والبالغين المتخلفين عقليا الموجودين في مستشفى محلية للأمراض العقلية، توفوا فجأة بعد نقلهم إلى بعض المؤسسات. واستنتج القاضي أنهم قتلوا على أيدي النظام النازي بموجب سياسته ''عملية القتل الرحيم''، وبعث برسالة إلى فرانز غورتنر، وزير العدل، للاعتراض.

ولما لم يحدث شيء، تقدم القاضي كريسيغ في تموز/يوليه ١٩٤٠ إلى المدعي العام في بوتسدام بشكوى تتعلق بالقتل ضد فيليب بوهلر – رئيس كل من مستشارية هتلر وبرنامج النازي للقتل الرحيم. وبعد ذلك أصدر القاضي في آب/أغسطس أوامر زجرية ضد المستشفيات التي يوجد بها الأشخاص الموضوعين تحت وصايته، فأمرها بعدم نقل هؤلاء الأشخاص دون موافقته المسبقة.

واستدعى غورتنر، وزير العدل، كريسيغ إلى برلين وطلب منه التخلي عن جهوده. ورفض كريسيغ ذلك، وأمر غورتنر بإحالته إلى التقاعد المبكر[1]. ولم يعان كريسيغ من أية عواقب أخرى؛ وتلقى المعاش التقاعدي الحكومي من الرايخ الثالث. وعاش كريسيغ حتى عام ١٩٨٦.

وكتب إنغو مولر في كتابه عدالة هتلر: محاكم الرايخ الثالث:

---

(١) هنري فريدلاندر، أصول الإبادة الجماعية النازية: من القتل الرحيم إلى الحل النهائي (*The origins of Nazi genocide: from euthanasia to the final solution*)، مطبعة UNC، ١٩٩٧، الصفحة ١٢١.

‘‘مهما حاول المرء أن يبحث عن رجال شجعان بين قضاة الرايخ الثالث، قضاة رفضوا أن يخدموا النظام من خلال هيئة المحكمة، فلا يزال هناك قاض واحد: لوثر كريسيغ’’[٢].

وأوزوالد روثاغ من النماذج المتطرفة لظاهرة معتادة بشكل أكبر، وهي ظاهرة الحقوقيين المناهضين للسامية. وقد حظرت القوانين العنصرية النازية، ضمن جملة أمور، العلاقات الجنسية بين اليهود والجنس الآري. وقُدم ليو كاتزنبرغر للمحاكمة في آذار/مارس ١٩٤٢ بسبب إقامته علاقة مع إيريني سيلر. وقد أنكر كلاهما العلاقة و لم يكن هناك دليل على عكس ذلك سوى معرفة كل منهما بالآخر وكونهما أصدقاء. ومع ذلك فقد أدان القاضي أوزوالد روثاغ كاتزنبرغر وحكم عليه بالإعدام الذي نفذ في حزيران/يونيه ١٩٤٢[٣].

وقُدم أوزوالد روثاغ للمحاكمة العادلة في نورمبرغ بعد الحرب، وهي محاكمة ١٦ من أعضاء وزارة عدل الرايخ أو المحاكم الشعبية والمحاكم الخاصة. وأجرت المحاكمة محكمة عسكرية تابعة للولايات المتحدة في المنطقة التي تحتلها الولايات المتحدة من ألمانيا في نورمبرغ بعد استكمال المحاكمات العسكرية الدولية.

وأحد عناصر التهمة الموجهة ضد روثاغ بارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية إدارته لمحاكمة كاتزنبرغر. وأدين روثاغ في كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٧ وحكم عليه بالسجن المؤبد. وكتبت المحكمة العسكرية التابعة للولايات المتحدة في إدانة روثاغ:

‘‘يتضح من الأدلة أن هذه المحاكمات [التي كانت محاكمة كاتزنبرغر إحداها] افتقرت إلى العناصر الرئيسية للمشروعية. وكانت جلسات المتهمين في هذه القضايا، على الرغم من المغالطات القانونية التي وُظفت، مجرد أداة في برنامج زعماء الدولة النازية للاضطهاد والإبادة’’[٤].

وأطلق سراح روثاغ في عام ١٩٥٦ وتوفي في عام ١٩٦٧.

---

(٢) مطبعة جامعة هارفارد، ١٩٩١.

(٣) كريستيان كوهل، العذراء واليهودي: قصة صداقة قاتلة في ألمانية النازية، (*The Maiden and the Jew: The Story of a Fatal Friendship in Nazi Germany*)، ستيرفورث، ٢٠٠٤.

(٤) الولايات المتحدة الأمريكية ضد أليستوتر وآخرون (‘‘قضية العدالة’’) 3 T.W.C. 1 (1948), 6 L.R.T.W.C. (1948), 14 Ann. Dig. 278 (1948).

وتضمن فيلم الحكم في نورمبرغ نسخة روائية من محاكمة روثاغ. وقامت جودي غارلاند بدور قائم على شخصية إيريني سيلر.

وتخلل تواطؤ المهنة القانونية في الاضطهاد النازي، الذي كانت محاكمة كاتزنبرغر مثالا له، هيئة المحكمة والمحاكمات. كما أدى هذا التواطؤ إلى اضطراب محاميّ الدفاع. واعتبر محامو الدفاع أنفسهم وكلاء الدولة وتحولوا بصفة روتينية ليصبحوا ضد عملائهم سعيا إلى تحقيق ما اعتبروه مصالح الدولة النازية[٥].

ولم يقتصر الإفساد النازي للقانون على المجال الجنائي. فقد أصبح كل مجال من المجالات القانونية، بما فيها قانون العقود وقانون العمل وحضانة الطفل، مكانا لتطبيق الأيديولوجية العنصرية النازية.

وفضلا عن ذلك، فهذا الاستبعاد من خلال القانون لم ينحصر في ألمانيا النازية. ففي كل بلد غزاه النازيون، فيما عدا الدانمرك، جرى سن وإنفاذ قوانين عنصرية تستبعد اليهود من الأنشطة الاقتصادية[٦].

ويسهل علينا أن نرى لماذا كان النازيين يريدون استخدام القانون لتعزيز أيديولوجيتهم العنصرية. وقد كانت الشمولية تعني السيطرة الكاملة، السيطرة على المهنة القانونية إل جانب جميع المهن الأخرى. إلا أن السيطرة النازية على المهنة القانونية كانت تعني ما هو أكثر من ذلك.

والقانون مسألة تنظيمية، وهو بيانات يعدها واضعو القانون لما يريدون للمجتمع أن يكون. ويحدد القانون المثل العليا للمشرعين. والخطاب القانوني هو خطاب بشأن ما ينبغي عمله.

وما كان استبعاد اليهود في الواقع من المجتمع إلا تعصبا وتمييزا. واستبعاد اليهود بالقانون من نفس ذلك المجتمع كان استبعادا على مستوى أعلى، مستوى معياري. وتشريع معاداة السامية كان تهميشا من حيث المبدأ وتجريدا من الإنسانية من الناحية الأخلاقية.

وفي الرايخ الثالث، قدمت مشروعية الاستبعاد تبريرا إضافيا لذلك الاستبعاد، مما عزز التهميش وجعله أكثر انتظاما. وقد أضفى القانون احتراما على التعصب الأعمى.

---

(٥) يدزشوك أ. بريتويتز، استعراض كتاب عدالة هتلر: محاكم الرايخ الثالث *Hitler's Justice: The Courts of the Third Reich*.

(٦) ''تشريع معادي لليهود''، مركز موارد المحرقة، المدرسة الدولية لدراسات المحرقة.

ومن الصعب تفسير الأسباب التي دعت المهنة القانونية إلى الموافقة على المحاولة النازية لإضفاء الشرعية على التعصب. وكريسيغ، وهو القاضي الوحيد الذي قاوم النازيين، كما سبق ذكره، لم يعاني أية عواقب أخرى غير الفصل مع الحصول على معاش تقاعدي. وكان ذلك نتيجة المعارضة الفعالة لهتلر في عام ١٩٤٠، بعد انقضاء أمد طويل على اكتساب المشروع النازي زخما، وحتى بعد بداية الحرب العالمية الثانية. ولو كان القضاة والمحامين قد عارضوا مشروع النازي بقوة في السنوات الأولى من الرايخ الثالث لكان من المرجح ألا يتعرضوا حتى لهذا النوع من العواقب السلبية.

فلماذا لم يفعلوا ذلك؟ في ضوء ضآلة ما حدث للوثر كريسيغ من أجل مقاومته الشجاعة المتأخرة في الرايخ الثالث، لا يمكن أن تكون الإجابة أنهم تعاونوا لأنهم اضطروا إلى ذلك. ولا بد أن تكون الإجابة أنهم تعاونوا لأنهم أرادوا ذلك.

وكيف يمكن للمهنة القانونية أن تتخلى تماما وبصورة منهجية عن مثلها العليا؟ والتفسير بالنسبة للمحامين هو نفس التفسير بالنسبة لباقي المجتمع، تفشي معاداة السامية.

وفي ألمانيا، وكل مكان ذهب إليه النازيون تقريبا، أصبحت المعاداة الوحشية للسامية أخلاقيات غير رسمية. ولم يؤد تقيين هذه الأخلاقيات إلا إلى إضفاء الصبغة الرسمية على ما كان متفشيا بالفعل. ولم تقاوم الهيئة القانونية معاداة النازيين للسامية لأن حقوقيين كثيرين جدا كانوا معادين للسامية.

وقد يكون ثمة ما يغرى بالقول بأن إضفاء الشرعية على معاداة السامية لا يهم، وأن تنفيذ معسكرات الموت وفرق القتل المتجولة والحل النهائي والمحرقة لم يجر من خلال التشريعات وأوامر المحاكم. وبالرغم من ذلك، فتواطؤ المهنة القانونية كان هاما جدا بالفعل.

وإذا كان أعضاء المهنة القانونية قد أصروا منذ اليوم الأول للرايخ الثالث على الامتثال للعدالة والإنصاف وأصول المحاكمات وسيادة القانون، كان من الممكن وقف المشروع النازي قبل أن يتطور ليصبح بكامل طاقته. ولم يكن من الممكن حدوث المظالم الكبيرة إلا بسبب تسامح وتعاون المهنة القانونية والنظام القانوني فيما يتعلق بالمظالم الصغيرة.

وعند محاكمة روثاغ في نورمبرغ، دفع في طلب تخفيف الحكم عليه بأن أعداد من قتلوا نتيجة لقراراته لا تقاس إذا قورنت بأعداد من قتلوا على أيدي من قاموا بإدارة معسكرات الموت أو بتشغيل فرق الإبادة المتجولة[٧]. وقالت المحكمة في إدانتها له:

" أن قلة عدد من استطاع المتهم في إطار صلاحياته القضاء عليهم عن عدد من جرى القضاء عليهم في عمليات الاضطهاد الجماعي والإبادة الجماعية التي جرت على أيدي الزعماء الذين خدمهم لا يخفف من إسهامه في برنامج هؤلاء الزعماء. وأن أفعاله كانت أشد فظاعة لأن هؤلاء الذين كانوا يأملون في أن يجدوا الملاذ الأخير في مؤسسات العدل، وجدوا أن هذه المؤسسات انقلبت ضدهم وأصبحت جزءا من برنامج الإرهاب والقمع".

والفشل في اللجوء إلى القانون يجعل الجرائم ضد الإنسانية أكثر رعبا. ويحق لضحايا الاضطهاد أن يتوقعوا أن يوفر لهم القانون الملاذ والسلامة والحماية. وعندما يشارك القانون في الاضطهاد يزداد الرعب من الاضطهاد.

وقد أتاح قانون الحقبة النازية استمرارية للماضي مما أخفى الطبيعة المفاجئة للتغيير الذي فرضه النظام النازي على ألمانيا والبلدان الأخرى التي ذهب إليها النازيون. والاعتماد على القانون جعل التمييز أيسر، ليس من جهة تحقيقه فحسب، بل من جهة محاولة القيام به أيضا. وهؤلاء الذين ترددوا إزاء التخبط في خطاب التعصب البحت تمكنوا من الاختباء تحت مظلة القانون.

وزود الاستبعاد من خلال القانون البلدان الواقعة تحت الحكم النازي بمظاهر متشابهة مع بلدان أخرى عمت فيها سيادة القانون، مما قدم للنازيين ستارا من الاحترام خلال ممارستهم للاستبعاد. وكان إضفاء الشرعية على الاستبعاد شكلا من أشكال خداع الذات للمرتكبين وتضليلا للغرباء غير المشاركين للتخفيف من اعتراضاتهم وتدخلاتهم.

وعندما قام النازيون بالاستيلاء على القانون وإخضاعه لخدمة أيديولوجيتهم للاستبعاد، قدموا ذريعة لذلك، وادعوا التحضر لتبرير بعض من أفظع التصرفات الوحشية التي شهدها العالم. وهؤلاء الذين لم يتمكنوا من تحقيق متعتهم اللاإنسانية بممارسة التعصب

---

(٧) ماثيو ليبمان "القانون والمحامون والمشروعية في الرايخ الثالث. انحراف المبادئ والروح المهنية". في شبح المحرقة: كتابات عن الفن والسياسة والقانون والتعليم "Law, Lawyers and Legality in the Third Reich The Perversion of Principle and Professionalism" in *The Holocaust's ghost: writings on art, politics, law, and education* - تحرير ف. سي. ديكوستي وبرنارد شوارتس، مطبعة جامعة ألبرتا، ٢٠٠٠، الصفحة ٣٠٢.

فحسب، وجدوا عزائهم في صلتهم بالتقاليد القانونية التي كانوا ملمين بها. وظهر لكثيرين من المطلعين والغرباء، على حد سواء، أن ما فعله النازيون لم يكن خطأ لأنه كان قانونيا.

ومن الجدير بالذكر أن لوثر كريسيغ، وهو القاضي الوحيد الذي عارض جرائم القتل النازية، فعل ذلك بلغة القانون. وفي رسالة الاحتجاج التي بعث بها كريسيغ إلى وزير العدل، دفع كريسيغ بأن أعمال قتل الأشخاص الموضوعين تحت وصايته غير قانونية من الناحية الموضوعية والإجرائية على حد سواء.

فمن الناحية الموضوعية، أكد كريسيغ عدم وجود أسس قانونية لقتل الموصى عليهم. ومن الناحية الإجرائية، ندد بغياب الفرصة لاستدعاء شاهد خبير وإمكانية الاستئناف.

وحاول غورتنر، وزير العدل، إقناع كريسيغ بأن ما حدث كان أمرا قانونيا لأنه حقق رغبة الزعيم، وهو ما كان مكتوبا في وثيقة أراها غورتنر لكريسيغ. وأكد كريسيغ وجهة النظر القائلة بأن رغبة الزعيم لا يمكن أن تمثل أساسا قانونيا لقتل الأشخاص الموضوعين تحت وصايته[٨].

ومن ناحية، فالاعتراضات التي قدمها كريسيغ، القانونية لا الأخلاقية، تبدو شكلية، مما يشير إلى أن مجرد إدخال تغيير في القانون كان من شأن إلغاء اعتراضاته. ومع ذلك، فإن إصراره على المشروعية كان أكثر من مجرد إجراء شكلي. ومن ناحية أخرى، فقد أصاب فيما يتعلق بجزء صغير من الأخطاء التي كانت تحدث بالنسبة لانتهاك القانون.

وأصبح لدى مرتكبي هذه الجرائم شعورا بالحصانة من خلال القانون. ومع ذلك ففي نهاية المطاف، بعد الحرب، عندما مثل النازيون أمام محاكم نورمبرغ، رُفضت دفاعاتهم التي تستند إلى القانون المحلي، واعتقد الكثيرون ممن يملكون هذه الدفاعات بحصانتهم من الملاحقة القضائية لهم على أفعالهم لأنها كانت قانونية. وأدت المشروعية التي كانت سائدة في ذلك الوقت إلى منح المرتكبين ما تبين بعد ذلك أنه إحساس زائف بالأمان، إلا أن تلك المشروعية ساعدت وقت ارتكاب الجرائم على حشد الشركاء في الاستبعاد وتقويض المساعي الرامية إلى إبعادهم عن ارتكاب أفعالهم البشعة.

وفي بعض الأحيان يكون كل المطلوب لمنع الاعتداءات هو رؤيتها بوضوح كما هي. وقد منع قناع المشروعية الكشف بشكل واضح لا لبس فيه عن هذه الاعتداءات. وقد

---

(٨) أنتون لغرر، ''تمهيد الطريق لإضفاء الصبغة الدستورية من خلال أعمال المصالحة'' (Preparing the Ground for Constitutionalisation through Reconciliation Work)، ٦ المجلة القانونية الألمانية، العدد ٢ (١ شباط/فبراير ٢٠٠٥).

أدى هذا القناع إلى تعقيد الأمور والخلط بينها وتشويشها وجعلها غير واضحة لمن ليس لديهم أساس أخلاقي قوي يرشدهم إلى واجبهم.

وشكلت جملة، كنت أؤدي وظيفتي فحسب، عند تطبيقها على قانون الاستبعاد النازي أكثر من مجرد ذريعة، فقد أصبحت هذه الجملة وسيلة فعالة لإكمال الأعمال النازية القذرة. وإذا ما فصلت مهمة الاستبعاد عن تأثيرها على الإنسانية، وإذا كان يمكن تحويلها إلى مجرد مهمة تجريدية تقنية لأصبح القيام بها أسهل بكثير.

وقد أدى تقنين الاستبعاد إلى تنقيح المهمة وتخدير المرتكبين. وأصبح التصديق القانوني تقنية للتهرب. وبدلا من المواجهة والإحجام عن فرض المعاناة على البشر الحقيقيين، لم يفكر المرتكبون إلا في الأمور الدنيوية والتطبيق اليومي للشكليات القانونية. وقتل البشر الحقيقيين عمل دموي، إلا أن تطبيق الشكليات القانونية يمكن أن يبدو عملا لا تراق فيه الدماء.

ومن لم يعتقدوا أن ما كانوا يفعلونه صوابا لأنه كان عنصريا كان يمكنهم الاعتقاد، بل اعتقدوا بالفعل، أنه صواب لأنه قانوني. ووسعت المشروعية قاعدة المرتكبين بحيث تتجاوز المؤمنين الحقيقيين لتشمل الآلية الرسمية للدولة بأكملها.

وانتهاكات حقوق الإنسان وصمة تنتشر. والمهنة القانونية في ألمانيا النازية، بتواطؤها منذ البداية، أجازت الاستبعاد ونشرته وضخمته. وأصبح القانون في ألمانيا النازية لبنة أساسية للحل النهائي، وكانت المهنة القانونية من البناة.

ما هي الدروس التي يمكن استفادتها من هذه التجربة؟ أحد هذه الدروس أن المجتمع المدني يمكن أن يكون محرضا على عمليات التهميش ونزع الملكية والتجريد من الإنسانية والإبعاد. ولربما يعتقد المرء أن المهنة القانونية، بمثلها العليا عن العدل والمساواة والإجراءات القانونية الواجبة والإنصاف وسيادة القانون، ستكون صلبة في مواجهة هذا التحريض، إلا أن ألمانيا النازية بيَّنت أن الأمر لم يكن كذلك.

وقبل ألمانيا النازية كانت هناك معادلة بين القانون والتحضر. وإذا ما نظرنا إلى النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية الدائمة التي بدأت عام ١٩٢٢ نجده ينص على ''مبادئ القانون العامة التي أقرتها الأمم المتحضرة''[٩] بوصفها مصدرا من مصادر القانون الدولي. والقانون الدولي، وفقا للنظام الأساسي للمحكمة وضعته أمم متحضرة.

---

(٩) المادة ٣٨ (٣).

وبينما لم يقرر النظام الأساسي للمحكمة الأمم المتحضرة والأمم غير المتحضرة، فقد جرت صياغته في عصر كانت تعتبر فيه الدول الاستعمارية أمما متحضرة والدول المستعمرة غير متحضرة. وجملة ''أمم متحضرة'' كان مفهوما أنها تشير إلى دول قارة أوروبا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة(١٠).

وقد كانت المحرقة مميزة وغير مسبوقة وفريدة من منظورات متنوعة كثيرة. وكانت ألمانيا في وقت المحرقة ذات حضارة متقدمة من نواحي كثيرة، ليس أقلها تقديمها الفقه القانوني وفقه القضاء. وكانت ألمانيا قد بدأت تشهد تقاعس المشاركين في ثقافة قانونية كاملة التطور، القضاة مثلهم مثل أعضاء المهنة القانونية، باستثناء وحيد هو لوثر كريسيغ، عن معارضة جرائم النازي بوصفها أعمالا غير قانونية، بل وعلى العكس، استعدادهم للمشاركة بفعالية في تلك الجرائم.

وفي البلدان الواقعة تحت الحكم النازي، ارتكبت انتهاكات حقوق الإنسان بواسطة هياكل قانونية بارزة. وكانت تلك البلدان دولا مكرسة لانتهاكات حقوق الإنسان وقائمة على مبدأ انتهاكات تلك الحقوق. واستخدمت تلك البلدان القانون لتنفيذ البرنامج العنصري النازي.

وبسبب سلوك أعضاء المهنة القانونية في البلدان الواقعة تحت الحكم النازي، لا بد أن نفكر في القانون بطريقة مختلفة تماما. وقد بينت مشاركة هؤلاء الأعضاء في الجرائم النازية، بطريقة لا يمكن لفقه القضاء بمفرده توضيحها، الفصل الكامل بين القانون والأخلاقيات وبين القانون وسيادة القانون وبين القانون واحترام معايير حقوق الإنسان. وبيَّنت المحرقة أن الحضارة المتقدمة، وحتى الثقافة القانونية المتطورة، ليست دفاعا مقبولا عن أسوأ الجرائم التي عرفتها البشرية. والمشروعية والهمجية يمكن أن يسيرا جنبا إلى جنب.

وتُظهر الثقافة القانونية المتطورة لألمانيا في النصف الأول من القرن العشرين الطابع العالمي والأهمية المعاصرة للمحرقة. وقد يكون من المغري أن نقول عن السفاكين الآخرين في الأشكال الأخرى من الإبادة الجماعية أنهم لم يكونوا إلا همجا غير متحضرين. ولا يمكن أن ينطبق هذا القول على مرتكبي المحرقة.

---

(١٠) هانا بوكور – سيغ، ''المبادئ العامة للقانون''، الفصل ٨، القانون الدولي: المنجزات والتوقعات، "General Principles of Law", Chapter 8, *International Law: Achievements and Prospects*، المحرر، محمد بيدجاوي، اليونسكو، ١٩٩١، الصفحة ٢١٤.

وحتى في خضم المحرقة كان الكثيرون من أبرع الحقوقيين الألمان في ذلك الوقت ضمن أكثر المؤيدين حماسا. وتخبرنا المحرقة أكثر من أي مأساة أخرى بأن القانون وحده لا يمكن أن يحمينا من الشر.

وعلى العكس من ذلك، يمكن للقانون، كما حدث في حالة المحرقة، أن يساهم في تجريد البشر من إنسانيتهم. وساعدت القوانين والمحاكم، كما ساعد المحامون، عن طريق إضفاء مظهر المشروعية على استبعاد اليهود، على إضفاء الشرعية على هذا الاستبعاد.

ولم يستخف النازيون بالقانون فحسب، بل استخدموه. وثمة اتجاه، حتى في يومنا هذا، للتفكير في القانون بوصفه صديقا للمضطهدين، ودرعا واقيا أو دفاعا ضد سلطة الدولة. إلا أننا لو وجهنا اهتمامنا إلى القانون والمهنة القانونية في البلدان الواقعة تحت الحكم النازي، يمكننا أن نرى العكس تماما، فلا يمكن تعطيل القانون وتقويضه فحسب، بل يمكن للقانون أيضا أن يجعل من الدولة القمعية أكثر قمعا، ويشارك في الطغيان ويعززه بنفس القدر الذي يشارك به في الحرية ويعززها، كما يمكن أن يكون نذيرا بالإبادة الجماعية ومعجلا لها.

أسئلة للمناقشة

١ - ماذا يمكن أن تخبرنا قضية القاضي كريسيغ عن الآثار المحتملة التي كان من الممكن أن يتعرض لها القضاة والمحامين الآخرين الذين عارضوا النازيين بشدة؟

٢ - لماذا لم يعارض أعضاء المهنة القانونية القوانين العنصرية والقوانين الإقصائية للنازيين؟

٣ - ما أثر ذلك على المرتكبين؟

٤ - ماذا ينبغي أن تكون عليه المعايير الدولية للأخلاقيات التي يجب أن يُدعى المهنيين القانونيين إلى الالتزام بها؟

٥ - ماذا تخبرنا المحرقة عن دور القانون في المجتمع؟

دافيد ماتاس محامي دولي في مجالات حقوق الإنسان واللاجئين والهجرة، ويعمل في مكتبه الخاص في وينيبيغ، مانيتوبا، كندا. ويشغل أيضا منصب أستاذ مساعد في قانون الهجرة واللاجئين في كلية الحقوق، جامعة مانيتوبا. وفضلا عن ذلك، يعمل السيد ماتاس حاليا مستشارا فخريا أقدم لمنظمة بناي بريث في كندا.

وعُين السيد ماتاس أيضا عضوا في الوفد الكندي لدى مؤتمر الأمم المتحدة المعني بإنشاء محكمة جنائية دولية؛ وفي فرقة العمل للتعاون الدولي في مجال التوعية والتذكير والبحوث بشأن المحرقة؛ وفي مؤتمرات منظمة الأمن والتعاون في أوروبا بشأن معاداة السامية والتعصب.

وحصل السيد ماتاس على جائزة الخدمة المتميزة لرابطة المحاميين في مانيتوبا في عام ٢٠٠٨؛ ووسام كندا في عام ٢٠٠٩؛ وجائزة إنجاز قسم الجنسية الوطنية والهجرة بنقابة المحامين الكندية في عام ٢٠٠٩؛ وجائزة حقوق الإنسان للفرع السويسري بالجمعية الدولية لحقوق الإنسان في عام ٢٠١٠. وقد ألف السيد ماتاس أيضا العديد من المنشورات، بما فيها ''التأخير في العدالة: مجرمي الحرب النازيين في كندا'' "Justice Delayed: Nazi War Criminals in Canada" مع سوزان تشاريندوف، مطبعة سمرهيل، ١٩٨٧.

منع الإبادة الجماعية على الصعيد العالمي: التعلم من المحرقة

إدوارد مورتيمر، نائب رئيس أقدم وكبير موظفي البرنامج، و**كاجا شونيك غلاهن** مديرة دورة منع الإبادة الجماعية على الصعيد العالمي: التعلم من المحرقة، الحلقة الدراسية العالمية في سالزبورغ

اجتمعت في الفترة من ٢٨ حزيران/يونيه ٢٠١٠ إلى ٣ تموز/يوليه ٢٠١٠ مجموعة من الخبراء الدوليين في مجالات الدراسات المتعلقة بالمحرقة والإبادة الجماعية، والتثقيف بشأن المحرقة والإبادة الجماعية، وحماية حقوق الإنسان، ومنع الإبادة الجماعية في الحلقة الدراسية العالمية في سالزبورغ من أجل مؤتمر بعنوان ''منع الإبادة الجماعية على الصعيد العالمي: التعلم من المحرقة''. وأُعد المؤتمر بالتعاون مع المتحف التذكاري للمحرقة بالولايات المتحدة، ورأسه الدكتور كلاوس مولر، الممثل الأوروبي للمتحف.

والهدف الصريح لهذا المؤتمر استكشاف الصلات، فضلا عن الاختلافات، بين مجالات التثقيف بشأن المحرقة ومنع الإبادة الجماعية وحقوق الإنسان. ونظر المشاركون فيما إذا كان التثقيف بشأن المحرقة يمكنه أن يقوم بالتوعية بالإبادات الجماعية المعاصرة، وتدعيم ثقافة منع الإبادة الجماعية، والمساهمة في التثقيف في مجال حقوق الإنسان، وكيفية قيامه بذلك. وناقش المشاركون ما إذا كنا نفهم الإبادات الجماعية السابقة والانتهاكات المعاصرة لحقوق الإنسان بشكل أفضل من خلال ربطها، أم أن ذلك يلحق الضرر بإدراك الاختلافات الشاسعة بينها. وأحد المواضيع التي ناقشها المشاركون المرة تلو الأخرى العلاقة المعقدة بين التعريف بالمحرقة والتعلم منها. وناقش المشاركون الإسهام الذي يقوم به، أو يمكن أن يقوم به، التثقيف بشأن المحرقة، في التوعية بالعنصرية المعاصرة أو معاداة السامية أو رهاب المثليين أو حالة طائفتي الروما والسنتي اليوم. وسعى المشاركون لفهم ما إذا كان يمكن للتثقيف بشأن المحرقة أن يساهم في فهم ومنع الإبادات الجماعية في المستقبل، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن تحقيقه.

وهناك اعتقاد بين واضعي السياسات ومؤلفي الدراسات الأكاديمية بأن التثقيف بشأن المحرقة يمكن أن يكون أداة فعالة لتعليم الطلاب أهمية حماية الديمقراطية وحقوق الإنسان، ومنع العنصرية ومعاداة السامية، وتعزيز الاحترام المتبادل بين الناس من مختلف الأجناس والديانات والثقافات. وتَجادل المثقفون على سبيل المثال حول أنه ''لا يمكن الفصل

بين الدراسات حول المحرقة والإبادة الجماعية وحقوق الإنسان''[١]، وأن ''التثقيف بشأن المحرقة يمكن أن يسهم في المواطنة إسهاما كبيرا عن طريق توعية التلاميذ بقضايا حقوق الإنسان والإبادات الجماعية ومفهومي القولبة وإلقاء المسؤولية على الآخرين''[٢]. واقترح تقرير أصدره معهد بحوث ستانفورد في عام ٢٠٠٤ أن ''التثقيف بشأن المحرقة ليس مجرد عمل أكاديمي ولكنه أفضل أمل لتحصين البشرية ضد حوادث الإبادة الجماعية في المستقبل''[٣]. وقدم الأكاديميون حججا مماثلة بدءا، على سبيل المثال، من أن التثقيف بشأن المحرقة يمكن أن يبذر ''بذور الاهتمام ... التي تنتج أفكارا تسفر عن النظر المستمر في المكان الذي يشغله المرء من العالم، وماذا يعني أن تكون مواطنا في ظل الديمقراطية''[٤].

وبناء على هذه النظرية، يمكن للتثقيف بشأن المحرقة أن يضطلع بدور هام في منع العنصرية ومعاداة السامية والنزاعات العرقية وتعزيز حقوق الإنسان، وقد وضعت دول كثيرة في جميع أنحاء العالم برامج إلزامية للتثقيف بشأن المحرقة على مستوى المدارس الثانوية. ومع ذلك، أظهرت دراسات واستقصاءات أجريت مؤخرا أن معظم برامج التثقيف بشأن المحرقة في كل من المدارس والمتاحف لا تربط ربطا صريحا بين تاريخ المحرقة وتاريخ الإبادات الجماعية الأخرى أو القضايا الأكبر لحقوق الإنسان[٥]. وفي الوقت نفسه، توجد أدلة عملية قليلة تقترح أن التثقيف بشأن المحرقة بمفرده يمكنه بالضرورة تعريف الطلاب بالأخطار المعاصرة المستمرة للعنصرية وكراهية الأجانب ومعاداة السامية والإبادة الجماعية. واستهدف

---

(١) دافيد أ. شيمان ووليم ر. فيرنيكس، ''التثقيف بشأن المحرقة وحقوق الإنسان والمواطنة الديمقراطية''، الدراسات الاجتماعية (*The Social Studies*) (آذار/مارس – نيسان/أبريل ١٩٩٩): ٥٣-٦٢.

(٢) هنري ميتليس، '' لماذا نتعلم ذلك'': هل تشجع دراسة المحرقة على قيم مواطنة أفضل؟'' دراسات عن الإبادة الجماعية والمنع. (''Why are we learning this?': Does Studying the Holocaust Encourage Better Citizenship Values?'' *Genocide Studies and Prevention* ٣، ٣ (كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٨): ٣٤١-٣٥٢.

(٣) SRI International، دراسة وطنية لممارسات التدريس في مجال التثقيف بشأن المحرقة للمرحلة الثانوية ، التقرير النهائي، ٢٠ آب/أغسطس ٢٠٠٤. www.policyweb.sri.com/cep/publications/SRI_Natl-Study_TeachingPractices.pdf.

(٤) صموئيل توتن، التثقيف بشأن المحرقة: قضايا ونهج (*Holocaust Education: Issues and Approaches*) (بوسطن: إلين وبيكون، ٢٠٠٨)، ١٣٨.

(٥) وكالة الاتحاد الأوروبي للحقوق الأساسية، ''اكتشف الماضي من أجل المستقبل: دراسة عن دور المواقع والمتاحف التاريخية في التثقيف بشأن المحرقة وحقوق الإنسان في الاتحاد الأوروبي''، تقرير النتائج الرئيسية ("Discover the Past for the Future: A study on the role of historical sites and museums in Holocaust education and human rights education in the EU" Main Results Report)، كانون الثاني/يناير ٢٠١٠.

مؤتمر سالزبورغ لعام ٢٠١٠ مشاركة الأخصائيين من مختلف مجالات التثقيف بشأن المحرقة، ومنع الإبادة الجماعية، وحماية حقوق الإنسان، في هذه القضايا؛ واسترشد المؤتمر بمجموعة من الأسئلة الشاملة فيما يتعلق بالغرض من التثقيف بشأن المحرقة. هل هو لتزويد الطلاب بالمعرفة بشأن المحرقة؟ هل هو لجعلهم ''يفكرون ماليا في المسؤولية المدنية وحقوق الإنسان وأخطار العنصرية؟'' (٦) أم الاثنان معا؟

التثقيف المعني بالمحرقة والإبادات الجماعية الأخرى وحقوق الإنسان

كانت إحدى القضايا الرئيسية التي جرت مناقشتها أثناء أسبوع سالزبورغ التوفيق بين التثقيف بشأن المحرقة والتثقيف في مجال حقوق الإنسان. ولأغراض هذه المقالة نستند إلى تعريف اليونسكو للتثقيف في مجال حقوق الإنسان بوصفه ''تثقيفا وتدريبا ومعلومات تستهدف بناء ثقافة عالمية في مجال حقوق الإنسان ... ويعزز التثقيف في مجال حقوق الإنسان المواقف والسلوكيات اللازمة للدفاع عن حقوق الإنسان لجميع أفراد المجتمع''(٧). ومن ناحية، ذهب بعض المشاركين إلى أن الربط بين هذين المجالين أمر حاسم، ودعوا إلى اتخاذ نهج تربوي من شأنه وضع التثقيف بشأن المحرقة ضمن مناقشة أوسع نطاقا وفي سياق أكبر لحقوق الإنسان. وذهب المشاركون إلى القول بأنه ينبغي تشجيع المعلمين على الربط بين المحرقة وقضايا حقوق الإنسان اليوم – على سبيل المثال عن طريق تأكيد الصلات التاريخية بين المحرقة واتفاقية الإبادة الجماعية والإعلان العالمي لحقوق الإنسان. و لم يوافق مشاركون آخرون على ذلك قائلين إنه لا يجوز الخلط بين التثقيف بشأن ا لمحرقة والتثقيف في مجال حقوق الإنسان وأنهما يشكلان مجالين منفصلين لكل منهما أهداف ومنهجيات ومجالات تركيز مختلفة. وسُلط الضوء على هذا الخلاف عن طريق حلقة نقاش اهتمت بالتثقيف في المتاحف. واقترح أحد المتكلمين أن المتاحف والنصب التذكارية الخاصة بالمحرقة يمكنها، بل ينبغي لها، أن تربط بين المحرقة وحقوق الإنسان، وأن تستخدم المحرقة بوجه خاص كمثال للانتهاك الشديد لحقوق الإنسان. ووفقا لهذا المحاضر، فإن المعرفة بالمحرقة والانتهاكات السابقة لحقوق الإنسان يمكن أن تؤدي إلى مناقشة مثمرة بشأن الانتهاكات المعاصرة لحقوق الإنسان. ومع ذلك، أشار متكلم آخر إلى أن هناك اختلافا هاما بين فهم التاريخ واستخلاص دروس منه.

---

(٦) كوفي عنان، ''أسطورة عدم تكرار ذلك أبدا''"The Myth of Never Again" ، ١٧ حزيران/يونيه، صحيفة نيويورك تايمز.

(٧) اليونسكو، خطة عمل البرنامج العالمي للتثقيف في مجال حقوق الإنسان، نيويورك وجنيف ٢٠٠٦ : ١.

وبينما اختلف المشاركون بشأن ما إذا كان من الملائم وضع التثقيف بشأن المحرقة في إطار التثقيف في مجال حقوق الإنسان، أقر معظم المشاركين في المؤتمر بوجه عام بقيمة وأهمية تعليم الطلاب لا بشأن المحرقة فحسب، بل بشأن الإبادات الجماعية الأخرى أيضا. ودفع كثير من المشاركين بأن مقارنة المحرقة، التي غالبا ما تعتبر نموذج تطبيقي للإبادة الجماعية، بغيرها من الإبادات الجماعية والجرائم ضد الإنسانية قد يحسِّن فهمنا لحوادث الإبادة الجماعية الأخرى، ومن هذا المنطلق يحسِّن فهمنا للمحرقة ذاتها. وفي الوقت نفسه، أشار المشاركون إلى التحديات الناجمة عن اتباع مثل هذا النهج المقارن، وسلطوا الضوء على أهمية التمييز بين المحرقة والإبادة الجماعية وغيرها من حوادث العنف الجماعي أو انتهاكات حقوق الإنسان أو النزاعات العرقية داخل الغرف الدراسية.

المحرقة ودروس للمستقبل؟

سلط المؤتمر الضوء على العديد من الآراء المختلفة فيما يتعلق بأغراض التثقيف بشأن المحرقة. فمن ناحية، أيد بعض المشاركين بصراحة أهمية التعلم من المحرقة والإبادات الجماعية الأخرى وجعل الطلاب يربطون بين الأحداث المعاصرة والماضي. وعلى سبيل المثال، ذكر أحد المشاركين أن الغرض من التثقيف بشأن المحرقة التعرف على القسوة البشرية والعنف وتفهمهما وكيفية منعهما. وذكر هذا المشارك أنه قد يكون من الأنسب في بعض الأماكن التركيز على الإبادات الجماعية والنزاعات الأخرى للتعريف بهذه الدروس. وظل مشاركون آخرون قلقين من اتخاذ هذا النهج، ودعوا بدلا من ذلك إلى اتخاذ نهج أوضح للتعريف بالمحرقة وعدم الربط الصريح بينها وبين أحداث أخرى سواء في الماضي أو الحاضر. وأعرب هؤلاء المشاركون عن بعض القلق إزاء المفهوم القائل بأن الهدف هو تعلم شيء من المحرقة، وذكروا أن دراسة المحرقة كحدث تاريخي أمر ضروري وهام في حد ذاته.

وكجزء من برنامج المؤتمر عرض المربون من جميع أنحاء العالم بعض الطرق المختلفة التي حددوا بها، هم ومؤسساتهم، الغرض من التثقيف بشأن المحرقة وحدوده. ووصف أحد المتكلمين على سبيل المثال برنامج تعليمي راسخ قائم في الولايات المتحدة يركز على تثقيف المراهقين بشأن المحرقة كأداة لمنع العنف وربما أيضا الإبادة الجماعية. وشدد هذا المتكلم على ضرورة مراعاة نماء المراهقين وسلوكهم إذا كنا مهتمين أن نغرس فيهم قيما أو دروسا معينة. ودعا المتكلم إلى اتباع نهج متعدد الاختصاصات لا يجري تعريف الطلاب من خلاله بالمحرقة وغيرها من حوادث الإبادة الجماعية فحسب، بل يجري تشجيعهم على التفكير مليا في حياتهم الخاصة والصلات (فضلا عن الاختلافات) التي توجد بين الأحداث المعاصرة والحالات السابقة للإبادة الجماعية. ودعا متكلم ثان إلى اتخاذ نهج مماثل ووصف وضع منهج

دراسي من جانب الدولة في إكوادور بشأن ''حقوق الإنسان والمحرقة وغيرها من الإبادات الجماعية التي حدثت مؤخرا''. ووضع هذا البرنامج للطلاب البالغين من العمر ١٦ و ١٧ سنة. والمبرر لتدريس هذه الموضوعات في المدارس الثانوية هو أهمية تقديم أخلاقيات التعاطف للطلاب وتعليمهم قيم المواطنة. وهذه القيم أساسية لتعزيز اللاعنف واتخاذ مواقف أكثر إيجابية إزاء الأجانب والغرباء. ووفقا لهذا المتكلم فالإبقاء على ذكرى المحرقة حية في سياق التعريف بقضايا حقوق الإنسان والإبادات الجماعية الحديثة أمر حاسم يوضح للطلاب ضرورة اهتمامنا بالآخرين لأجلنا ولأجل البشرية.

وعلى العكس من المتكلمين الأولين الذين عززا بصراحة البرامج التي تشجع الطلاب على الربط بين المحرقة وغيرها من الإبادات الجماعية وقضايا حقوق الإنسان وحياتهم الخاصة، أشار متكلم ثالث إلى نهج ما زال يركز بشكل أكبر بكثير على التعريف بتاريخ المحرقة وتعزيز إحياء ذكراها كموضوع مميز وفريد. وأشار هذا المتكلم إلى أعمال برنامج أوروبي لذكرى المحرقة يركز صراحة على تذكر المحرقة ولايعتبر التعريف بمنع الإبادة الجماعية او بحقوق الإنسان مهمته الأساسية. و فضّل هذا المتكلم إتخاذ نهج إنعكاسي إزاء التاريخ، وأشار إلى أن الغرض من التثقيف بشأن المحرقة هو التعرف عليها بدلا من التعلم منها.

وحدد المحاضر الرابع والأخير النهج المتعدد التخصصات للتعريف بالمحرقة ومنع الإبادة الجماعية الذي اتخذه ''برنامج التوعية بالمحرقة والأمم المتحدة''. وينظم البرنامج، في إطار الولاية المسندة إليه من الجمعية العامة، يوما سنويا للتذكر تحتفل به مكاتب الأمم المتحدة حول العالم وشركاء المجتمع المدني لزيادة فهم المحرقة وأسباب أعمال العنف الجماعي التي يمكن أن تؤدي إلى الأبادة الجماعية. ويضع البرنامج أيضا حلقات دراسية ومواد تعليمية تؤكد الصلات الأساسية بين هذا التاريخ وتعزيز حقوق الإنسان والقيم الديمقراطية اليوم.

مواجهة الحقائق المحلية

بينما يظل السؤال المتعلق بكيفية التعريف بالمحرقة وما إذا كان من الأفضل إدماجها في منهج دراسي يركز حصرا على التاريخ أم في منهج يركز على حقوق الإنسان أم في منهج يركز على المقارنات بينها وبين غيرها من الإبادات الجماعية والأحداث المعاصرة موضع خلاف، اعترف جميع المشاركين في المؤتمر بمدى القيود التي تفرضها التواريخ والسياقات المحلية على الأشكال التي يمكن للتثقيف بشأن المحرقة، بل يجب عليه، أن يتخذها. وسلطت مناقشة منفصلة ركزت على تحديات ونجاحات التثقيف المعاصر بشأن المحرقة المزيد من الضوء على مدى اختلاف الأغراض المعلنة لبرامج التثقيف بشأن المحرقة والطرق التي تنفذ بها، ومدى تجسيدها لحقائق محلية معينة. فعلى سبيل المثال، أوضح متكلم من النمسا أن التعريف بالمحرقة

في النمسا جزء إلزامي من المنهج الدراسي بالمدارس الثانوية. ومع ذلك، ففي إطار معهد "erinnern.at"، وهو معهد يقوم بتدريب المعلمين ووضع مواد للتعريف بالمحرقة نيابة عن وزارة التعليم النمساوية، تقرر أنه في الوقت الحالي لاينبغي تدريس المحرقة بالاقتران مع الإبادات الجماعية الأخرى أو في إطار منهج تعليمي أوسع نطاقا لحقوق الإنسان. والسبب الرئيسي لهذا القرار أن تاريخ المحرقة يظل موضوعا مشحونا في النمسا حيث لاتزال ذكريات وسرود كثيرة قائمة. وأكبر تحد مستمر هو النزاع بين السرد الرسمي للأعمال التي ارتكبتها النمسا (أي المشاركة في فظائع النازي) وسرد الأسر النمساوية الذي يركز على النمسا ومواطنيها كضحايا للمحرقة، أو على أسوأ تقدير، كمجبرين على المشاركة فيها.

وعلى العكس من ذلك، ففي أوكرانيا، كما وضح المتحدث التالي، لا تشكل المحرقة جزءا ثابتا من المناهج المدرسية. وفي الواقع، ووفقا لهذا المتكلم، فإن أقل من ١٠ في المائة من مدرسي التاريخ بالمدارس الثانوية الأوكرانية مدربين على التعريف بالمحرقة. وذكر المتكلم أن هناك عقبات بيروقراطية فضلا عن العقبات السياسية في سبيل وضع برامج فعالة للتثقيف بشأن المحرقة في أوكرانيا. وتتضمن بعض أكبر التحديات: تقاليد الصمت (الأوكرانيون لا يعتقدون بأن المحرقة كانت حدثا أوكرانيا أو أنها ارتكبت على أيدي أوكرانيين)؛ ومنافسة الضحايا (الإحساس بأن عدد ضحايا المجاعة الأوكرانية يزيد عن عدد ضحايا المحرقة)؛ و ''إضفاء الصبغة القومية'' على التاريخ الأوكراني الذي جرى من خلاله تهميش أو إهمال اليهود والأقليات الأخرى.

وكما دللت بوضوح هذه العروض وغيرها، تتخذ مختلف المؤسسات والبلدان، كما يتخذ مختلف المربين نهجا شديدة الاختلاف إزاء التعريف بالمحرقة. وتوجد عوامل تربوية وسياسية وتاريخية هامة تؤثر على الطرق التي ينفذ بها التثقيف بشأن المحرقة وما إذا كانت مرتبطة بالإبادات الجماعية الأخرى أو حقوق الإنسان أو التاريخ المحلي.

الخاتمة

بالرجوع إلى الأسئلة الأصلية التي أثيرت في المؤتمر فيما يتعلق بالغرض من التثقيف بشأن المحرقة، نود أن نذكر أن جميع الحجج التي قدمت سليمة ونشكك في فكرة وجود ''طريقة صحيحة'' واحدة لتدريس المحرقة. ومن الواضح أن المحرقة كانت حدثا هاما ومحوريا في تاريخ القرن العشرين. ولهذا السبب فمن المهم للطلاب أن يدرسوها ويتعرفوا عليها. وعندما نتكلم بوجه خاص عن التعليم داخل الجامعات فإن الفكرة القائلة بأنه يتعين علينا أن نتعلم شيئا من المحرقة مخالفة في بعض الحالات لفكرة البحث والدراسة ككل. ونحن لا نعتبر أن أي مادة تستحق الدراسة أو لا تستحقها لمجرد أننا أحيانا نستطيع أو لا نستطيع أن

نستخلص الدروس منها في مجتمعاتنا المعاصرة. ومع ذلك، ففي الوقت نفسه ندرك أن التعليم لا يخلو على الإطلاق من التأثر بالقيم وأنه يعرف تعريفا عاما بوصفه أحد أكثر الإجراءات الفعالة التي ترسخ من خلالها الأمم قيم وأخلاقيات معينة (بناءة وهدامة على حد سواء) في أذهان مواطنيها. وفي عالمنا الذي يتجه إلى العولمة بشكل متزايد نعتقد أنه من الضروري تعريف الطلاب بأخطار العنصرية ومعاداة السامية وكراهية الأجانب وغرس احترام حقوق الإنسان فيهم. ونعتقد أن من الأهداف الهامة للتعليم تهيئة ثقافة يملك فيها الطلاب الرغبة في تحدي التعصب والظلم وعنف الإبادة الجماعية، والقدرة على ذلك. وكما ذكر أحد المشاركين في مؤتمرنا في حلقة نقاش بعنوان ''جذور الإبادة الجماعية'' ينبغي أن نركز اهتماماتنا ونحشد طاقاتنا لتهيئة ثقافة معادية للإبادة الجماعية إذا ما كنا نرغب في منعها في المستقبل. وبينما يمكن أن يكون التعرف على المحرقة عنصرا هاما من عناصر تهيئة ثقافية معادية للإبادة الجماعية فإنه لا يكفي بمفرده. ويجب أن يرى الطلاب إلى أي مدى ''تشكل الإبادة الجماعية مأساة إنسانية مشتركة تكرر حدوثها أكثر من اللازم في الماضي''[٨]. ولا يمكن تدريس المحرقة أو فهمها كانحراف في تاريخ البشرية. وبدلا من ذلك، ينبغي أن نبين للطلاب أنه بينما قد تكون المحرقة أكثر حالات الإبادة الجماعية تطرفا إلا أنها تشترك في أوجه تشابه مميزة مع إبادات جماعية أقرب عهدا في رواندا وكمبوديا والبوسنة. وإذا ما كنا نرغب في منع حدوث الإبادة الجماعية في المستقبل، يجب علينا تثقيف الطلاب بشأن شيوع الإبادات الجماعية والنزاعات التي اتسمت بجرائم القتل الجماعي على مدى التاريخ الحديث وتدريسهم كيفية نشوب تلك النزاعات وأسباب ذلك.

وفي الوقت الراهن، توجد نماذج تعليمية قليلة نسبيا تجمع بنجاح بين تدريس المحرقة وتدريس الإبادات الجماعية الحديثة الأخرى وحقوق الإنسان ومنع الإبادة الجماعية. وكانت إحدى النتائج الواضحة لمؤتمرنا ضرورة القيام بالمزيد من التعاون والتآزر بين الممارسين والمربين العاملين في هذه المجالات إذا ما كنا نأمل في نهاية المطاف في تهيئة نموذج تربوي يسمح بدمج هذه المجالات المختلفة في إطار تعليمي واحد. ولبلوغ هذه الغاية، وضعت الحلقة الدراسية العالمية بسالزبورغ، بالتعاون مع المتحف التذكاري للمحرقة بالولايات المتحدة، مبادرة تتناول موضوعي التثقيف بشأن المحرقة ومنع الإبادة الجماعية، وتتناول المبادرة هذه القضايا وتنشئ شبكة متعددة التخصصات من الخبراء الذين يمكنهم التعلم من بعضهم البعض بهدف تعزيز جهود تثقيفية ومبادرات ثقافية رفيعة المستوى تدعم التوعية

(٨) فرانسيس دنغ، ''في ظل المحرقة''، المحرقة ومجموعة ورقات نقاش الأمم المتحدة، ورقة النقاش ٧.

بالمحرقة والإبادات الجماعية الأخرى وتدريسها بغية مكافحة الكراهية والعنصرية ومعاداة السامية وتعزيز حماية حقوق الإنسان ومنع الإبادة الجماعية.

– – – – – – – – – – – – – – –

للحصول على المزيد من المعلومات عن هذا البرنامج وللحصول على تقرير كامل بشأن مؤتمر عام ٢٠١٠ يرجى الاطلاع على موقعنا الشبكي التالي:

http://www.salzburgglobal.org/2009

– – – – – – – – – – – – – – –

أسئلة للمناقشة

١ – ما أهمية دراسة الطلاب في جميع أنحاء العالم للمحرقة؟

٢ – ماذا يربط بين الدراسات بشأن المحرقة ومنع الإبادة الجماعية وحقوق الإنسان؟ وماذا يفرق بينها؟

٣ – ما هي بعض الأخطار والفوائد المحتملة لربط دراسة المحرقة بدراسة الإبادات الجماعية الأخرى؟

٤ – ما هي الدروس المستفادة من المحرقة؟ وهل تنطبق هذه الدروس على حياتك اليومية وعلى تفاعلك مع الآخرين؟

٥ – هل تعتقد أن التثقيف بشأن المحرقة يمكن أن يساعد على منع أعمال الإبادة الجماعية في المستقبل؟ برجاء توضيح أسباب ذلك.

إدوارد مورتيمر (الولايات المتحدة الأمريكية)، نائب رئيس أقدم وكبير موظفي البرنامج بالحلقة الدراسية العالمية بسالزبورغ. وقد عمل من عام ١٩٩٨ إلى عام ٢٠٠٦ كبير كاتبي الخطب ومدير اتصالات للأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان (منذ عام ٢٠٠١). وقضى جزءا كبيرا من حياته الوظيفية يعمل كصحفي، أولا مع صحيفة التايمز اللندنية حيث اكتسب خبرة في شؤون الشرق الأوسط، ثم عمل بعد ذلك في صحيفة الفاينانشيال تايمز حيث كان المعلق الرئيسي وكاتب عمود عن الشؤون الخارجية منذ عام ١٩٨٧ إلى عام ١٩٩٨. كما عمل كزميل و/أو عضو في هيئة التدريس في عدة مؤسسات، من بينها جامعة أوكسفورد، وصندوق كارنيغي للسلم الدولي، والمعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية،

وجامعة وارويك؛ وفي الهيئات الإدارية لعدة منظمات غير حكومية، بما فيها قصر تشاثام، ومعهد الإبلاغ عن الحرب والسلام. وتتضمن كتاباته الشعب، الأمة، الدولة: معنى العرقية والقومية (اشترك في تحريره ر. فاين) والعالم الذي بناه ف. د. ر. (١٩٨٩). وحصل السيد مورتيمر على ماجستير في التاريخ الحديث من جامعة أوكسفورد.

كاجا شونيك غلاهن (ألمانيا) مديرة برنامج لمشروع الحلقة الدراسية العالمية بسالزبورغ بشأن منع الإبادة الجماعية على الصعيد العالمي: التعلم من المحرقة. وهي تعمل أيضا في برامج تعليم المواطنة العالمية بجامعة مدينة لندن. وتركز اهتماماتها البحثية على الأقليات من السكان في ألمانيا وتاريخ الهجرة الأوروبية والنزاعات العرقية. وهي حاصلة على درجة الدكتوراه في التاريخ الأوروبي من جامعة واشنطن، سياتل.

تـراث النـاجين: إحيـاء ذكـرى الاضـطهاد النـازي لطـائفتي الرومـا والسينتي – مفتاح مكافحة عنصرية العصر الحديث

أندريه ميرغا، المستشار الأقدم المعني بقضايا الروما والسينتي بمكتب المؤسسات الديمقراطية وحقوق الإنسان التابع لمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا

في ٢٧ كانون الثاني/يناير ١٩٤٥ شكل تحرير معسكر أوشفيتز للاعتقال خلاصا لسبعة آلاف من سجناء المعسكر الناجون من التعذيب والتجويع والأمراض والتجارب الطبية وعمليات الإعدام وغرف الغاز. ولم يكن هناك أفراد من طائفتي الروما والسينتي ضمن هؤلاء الناجين. وفي ليلة ٢ آب/أغسطس ١٩٤٤، قبل التحرير بنصف سنة، قُتِل في غرف الغاز الباقون من النساء والمسنين والأطفال من الروما البالغ عددهم ٨٩٧ ٢ شخصا من ما يدعى ''زيغنـرلاجر'' أو معسكر الغجر الذي أنشئ بمرسوم هيملر في كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٢، الذين كانوا قد عانوا حتى ذلك الوقت بالفعل من جميع الفظائع الممكنة. وكان مجموع المحتجزين من الروما والسينتي في أوشفيتز حوالي ٠٠٠ ٢٣ شخص، منهم نحو ٠٠٠ ١٣ شخص من ألمانيا والنمسا وآخرين من بلدان خاضعة لحكم الرايخ الثالث أو متعاونة معه. وبين نيسان/أبريل وتموز/يوليه ١٩٤٤ نُقل نحو ٥٠٠ ٣ شخص من الروما والسينتي إلى معسكرات أخرى. ونجا بعض هؤلاء الأشخاص من محنة الاضطهاد، إلا أن ٨٥ في المائة من الذين نقلوا أصلا إلى أوشفيتز – بيركناو أبيدوا في نهاية المطاف.

ولعقود طويلة التزم أفراد الروما والسينتي الناجين من الاضطهاد النازي الصمت ونادرا ما سردوا قصصهم أو أبلغوا عن تجاربهم ومشاهداتهم. ولما كان إحياء الذكرى يعتمد على ذاكرة الأشخاص وشهادات الناجين والبحث والتأريخ والاعتراف الرسمي، ظلت معاناة الروما والسينتي غير ملحوظة إلى حد كبير. وبعد عام ١٩٤٥ لم تقم بلدان كثيرة بالاعتراف باضطهاداتها العنصرية وإدانتها؛ وعلاوة على ذلك اتبعت هذه البلدان طوال عقود ممارسات تمييزية ضد الروما والسينتي، بما في ذلك في عمليات رد الحق.

وكافحت طائفتي الروما والسينتي من أجل الاعتراف بهما ووضعهما في المكان اللائق بهما بين ضحايا النظام النازي. ولم تعترف ألمانيا رسميا بأن إبادة طائفتي الروما والسينتي استندت إلى أسس 'عنصرية' إلا في أوائل الثمانينات. ولم تبدأ طائفتي الروما والسينتي إحياء ذكرى إبادتهم الجماعية في أوشفيتز إلا في عام ١٩٩٤، في ٢ آب/أغسطس، وهو تاريخ تصفية ''زغنرلاجر''، بمشاركة مسؤولي الدولة والمجتمع الدولي. ولم يفتَتِح متحف الدولة لأوشفيتز معرضا دائما عن الإبادة الجماعية للروما والسينتي إلا في عام ٢٠٠١.

ويجري تذكر الشخصيات الرمزية وقصصها، مثل قصة آن فرانك التي تضمنت تجربة المحرقة، لأجيال عديدة. وما زال يتعين على الروما والسينتي الكشف عن الأدلة الشخصية التي تشكل رمزا لتجربة الاضطهاد. ويمكن لقصة ''أونكو'' أو إرنا لاوينبرغر، وهي فتاة ألمانية من السينتي، أن تكون واحدة من القصص التي تُروى لترمز إلى الإبادة الجماعية للروما والسينتي. وولدت إرنا، وهي نموذج للقب بطلة كتاب الأطفال ''إيدي وأونكو'' الذي كتبته غريتي وايسكوف - برينهايم (الاسم المستعار: اليكس ويدنغ)، في عام ١٩٢٠. ونشر الكتاب في عام ١٩٣١. وكانت الكاتبة يهودية، ولذلك حظر النازيون كتابها في عام ١٩٣٣. وسُجلت إيرنا تسجيلا ''عنصريا'' في عام ١٩٣٩ وصنفت بوصفها ''غجرية من عناصر مختلطة'' في عام ١٩٤١. وأبعدت إيرنا من معسكر الاعتقال في مغدبرغ مباشرة إلى أوشفيتز في ١ آذار/مارس ١٩٤٣ مع أسرتها ولقيت حتفها هناك في نفس العام. ولم ينج من الاضطهاد من الـ ١١ طفلا من السينتي الذين ذكروا في هذا الكتاب، المستمد من قصص حياة حقيقية، إلا طفلا واحدا.

ولا يمكن لذكرى المحرقة أن تنمحي من مخيلتنا حيث لا يجب لمعاناة الملايين أن تذهب هباء. ومع ذلك، تواجه البشرية مرة تلو الأخرى شرور الإبادة الجماعية. هل من الممكن تفادي ذلك؟ يعلمنا الناجون ألا نتعاون مع أولئك الذين يضمرون الكراهية بل نقاومها ونعارضها بقوة.

ولم تختف الأيديولوجيات العنصرية من عالمنا، فما زالت هناك مجموعات في مجتمعات مستعدة للحض على هذه الأفكار والعمل على أساسها. ولا يمكن لمن عانوا خلال العهد النازي، بمن فيهم الروما والسينتي، أن ينسوا أن الأيديولوجيات العنصرية كانت السبب الجذري لاضطهادهم في ذلك الوقت، وأنها السبب أيضا في شعورهم بأنهم مهددون بصفة خاصة اليوم من قبل جماعات المتطرفين والنازيين الجدد. وهذه الجماعات، التي تعيش دون شك على هامش المجتمع، لا تخشى من الخروج للجمهور والإشادة بالأيديولوجية النازية والتذكير برموزها وشعاراتها وتنظيم مظاهرات ومسيرات للاحتفال بالماضي النازي. وللأسف فإنهم يواصلون استقطاب الأتباع.

وإحياء ذكرى المحرقة هو مفتاح محاربة العنصرية والتعصب في العصر الحديث. ويعني إحياء ذكرى المحرقة الالتزام بقيمة البشر وكرامتهم وحقوقهم. إلا أن إحياء ذكرى المحرقة وحده لا يكفي، فيجب اتباع القوانين التي تحمي كرامة البشر وحقوقهم. وكان هذا منطق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، كما أنه منطق كفالة نص القوانين الأساسية أوالدساتير على

مبدأي المساواة وعدم التمييز. وعلى نفس المنوال، يجب أن تطبق أدوات إنفاذ القانون بفعالية بغية منع المظاهر العنيفة للأيديولوجيات العنصرية والمتطرفة أو المعاقبة عليها.

واشتركت منظمة الأمن والتعاون في أوروبا، إدراكا منها لخطر خطاب الكراهية والعنصرية العدوانية وكره الأجانب ومعاداة السامية، مع منظمات دولية أخرى في الدعوة مرارا إلى تدعيم الجهود المبذولة لتعزيز التسامح وعدم التمييز. وينبغي لهذه الجهود أن تستهدف بوجه خاص الأجيال الأحدث سنا ''بغية تعزيز فهمهم لضرورة التسامح وأهمية المصالحة والتعايش السلمي''.

والتراث الآخر للناجين يتعلق بالتعريف بالمحرقة. والتعريف بالمحرقة التزام، إلا أنه في نفس الوقت يشكل تحديا، وبخاصة بعد قرابة انقضاء ٦٥ سنة على نهاية الحرب العالمية الثانية. ويتطلب التعريف بالمحرقة مشاركة مؤسسات متخصصة لوضع مناهج دراسية وإضفاء الطابع المؤسسي عليها. إننا نعيش في عالم جديد يتيح أدوات جديدة للإبقاء على الذكرى وللتعريف بالماضي والتعلم منه. وفي هذا الصدد، فزيارة أكثر من ٤٧ مليون شخص لمتحف أوشفيتز منذ إنشائه ومشاهدة مليون زائر له كل عام علامة تبعث على الأمل. وفيما يتعلق بالناجين من الروما والسينتي، ينبغي أن تصبح سرودهم بشأن الاضطهاد في ظل النظام النازي جزءا شرعيا من السرد والتثقيف الرئيسيين بشأن المحرقة وتكون تذكيرا عاما بما يجب ألا يتكرر مطلقا.

أسئلة للمناقشة

١ - طيلة عدة عقود لم يجر الاعتراف باضطهاد طائفتي الروما والسينتي خلال الحرب العالمية الثانية. ماذا حدث للروما والسينتي أثناء المحرقة؟

٢ - ما هو أساس التمييز النازي ضد الروما والسينتي؟

٣ - كما ذكر السيد ميرغا في ورقته لم تعترف ألمانيا رسميا بالأسس ''العنصرية'' لإبادة الروما والسينتي إلا في أوائل الثمانينات. ما السبب في أن اضطهادهم لم يلفت الانتباه لتلك الفترة الطويلة؟

٤ - ما هي أخطار خطاب الكراهية والعنصرية العدوانية وكره الأجانب ومعاداة السامية؟ ولماذا يلزم أن تقوم المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا بتعزيز التسامح وعدم التمييز؟

٥ - لماذا يُعتبر التثقيف بشأن المحرقة أداة هامة اليوم؟

أندريه ميرغا، المستشار الأقدم المعني بقضايا الروما والسينتي، رأس جهة الاتصال لقضايا الروما والسينتي في مكتب المؤسسات الديمقراطية وحقوق الإنسان في وارسو التابع لمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا منذ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٦.

واشترك ميرغا في تأسيس الرابطة الأولى للروما البولنديين، وعُين رئيسا لها من عام ١٩٩١ إلى عام ١٩٩٥. وفي عامي ١٩٩٣ و ١٩٩٤ نظَّم ميرغا مناسبتين لإحياء ذكرى محرقة طائفة الروما في أوشفيتز - بيركناو وكراكو؛ كما مثل طائفة الروما في احتفال أيام التذكر في مبنى الكابيتول بواشنطن العاصمة في عام ١٩٩٥.

ومن عام ٢٠٠٣ إلى عام ٢٠٠٥ عمل ميرغا خبيرا في لجنة الخبراء المعنية بطائفة الروما والرحَّل التابعة لمجلس أوروبا (فريق المتخصصين السابق المعني بطائفتي الروما والغجر)، ورئيسا لهذه اللجنة؛ كما عمل في لجنة بولندا المشتركة للحكومة والأقليات الوطنية والعرقية من عام ٢٠٠٥ إلى عام ٢٠٠٦، وكعضو في الفريق الرفيع المستوى المعني بسوق العمل والأقليات العرقية المحرومة التابع للمفوضية الأوروبية من عام ٢٠٠٥ إلى عام ٢٠٠٧.

وميرغا معاون طويل الأجل للمشروع المعني بالعلاقات العرقية، وهي منظمة وسيطة غير حكومية متمركزة في الولايات المتحدة ويقع مقرها في برنستون، نيوجيرسي.

التثقيف بشأن المحرقة في جنوب أفريقيا

تالي نيتس، مديرة مركز المحرقة والإبادة الجماعية في جوهانسبرغ، مؤسسة المحرقة والإبادة الجماعية في جنوب أفريقيا

التعريف بالمحرقة في جنوب أفريقيا أمر معقد. كيف تدرس الفظائع والآلام في بلد لديه عبء ثقيل من المعاناة الهائلة التي صنعها الإنسان؟ وقد كتب السياسي والكاتب الألماني ريتشارد فون فيزاكر ما يلي:

> ''ليست المسألة التغلب على الماضي. لا يستطيع المرء أن يفعل ذلك. فالماضي لا يتغير ولا يتبدد بأثر رجعي. إلا أن كل من يغمض عينيه عن الماضي لا يرى الحاضر. ومن لا يرغب في تذكر اللاإنسانية يصبح معرضا لمخاطر عدوى جديدة''.

وتكلم الكاتب بطبيعة الحال عن ألمانيا كأمة وكيف أن ''أجدادهم أورثوهم تراثا ثقيلا''[1].

وشهد كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٨ مولد اتفاقين هامين جدا للأمم المتحدة بشأن حقوق الإنسان: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان واتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها. وفي وقف سابق من هذا العام أُضفي الطابع المؤسسي رسميا على الفصل العنصري (انفصال الأفريكان) في جنوب أفريقيا. فالبلد يحمل أيضا تراثا ثقيلا. ويوافق عام ٢٠١١ مرور ١٧ سنة على نهاية نظام الفصل العنصري والاحتفال بالديمقراطية الجديدة لجنوب أفريقيا. والماضي المؤلم للبلد كامن دائما ويقرر إلى حد كبير الكثير من كيفية صياغة الحاضر والمستقبل. والمعاناة خلال الفصل العنصري لا تعني بالضرورة أن مواطني جنوب أفريقيا بمنأى الآن عن أن يصبحوا ''معرضين لمخاطر عدوى جديدة''، وكانت الهجمات الفتاكة الناتجة عن كره الأجانب التي حدثت في أيار/مايو ٢٠٠٨ دليلا على ذلك.

وفي عام ٢٠٠٧ أُدرجت المحرقة كجزء من المنهج الدراسي الجديد للتاريخ الوطني لجنوب أفريقيا. وجنوب أفريقيا هو البلد الوحيد في أفريقيا الذي يدرج هذه النماذج في مناهجه الدراسية وهذا يسمح بالعديد من الفرص التي يمكن أن يتيحها التعريف بالمحرقة للبلد. وعندما اعتُمد النهج الدراسي الجديد، أُدرجت المحرقة في كل من المناهج الدراسية للعلوم الاجتماعية والتاريخ للصفين التاسع والإحدى عشر. وقررت الإدارة الوطنية للتعليم

---

(١) برينباوم مايكل، العالم يجب أن يعرف *The World Must Know*. نيويورك: مطبعة جامعة جونز هوبكنز، ٢٠٠٥، الصفحة ١٩٦.

تنفيذ منهج دراسي يشدد على موضوع حقوق الإنسان ويقوم على الدستور وشرعة الحقوق في جنوب أفريقيا. وتأثرت هذه الوثائق تأثرا مباشرا بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي وُضع بدوره كنتيجة للحرب العالمية الثانية والمحرقة. وقال أندريه كيت أثناء عمله في لجنة جنوب أفريقيا لحقوق الإنسان:

"هناك قبول واسع النطاق للمفهوم القائل بأن أحداث المحرقة مثلت انتهاكا من أشد انتهاكات حقوق الإنسان في تاريخ البشرية. واضطلعت الدروس المستفادة من هذه الجريمة ضد الإنسانية بدور واضح في وضع وتطوير حقوق الإنسان المعاصرة. ولذلك، وإلى جانب الكثير من الفظائع التاريخية والمعاصرة التي ارتكبت ضد حقوق الإنسان في جميع أنحاء العالم وفي قارتنا، لم يكن إدماج المحرقة في المناهج الدراسية مطلقا موضع جدل"[٢].

ونظام التعليم بالمدارس الثانوية لجنوب أفريقيا مدته خمس سنوات من الصف الثامن إلى الصف الثاني عشر. وتشكل نهاية الصف التاسع موعدا لخروج الدارسين الذين يسمح لهم قانونا بترك نظام التعليم في نهاية هذه السنة. وحتى نهاية الصف التاسع، يعتبر تدريس التاريخ إلزاميا لجميع الدارسين. ومن الصف العاشر فصاعدا يطلب من الدارسين انتقاء ٦ أو ٧ مواضيع للدراسة يجري التركيز عليها، وهناك كثيرون لا يختارون التاريخ. وأدرج واضعو المناهج الدراسية عن قصد دراسة المحرقة في الصف التاسع حيث كان هدفهم إتاحة الفرصة لجميع الدارسين لتعلم هذا القسم الهام من التاريخ. وفي أعقاب هذا القرار، كان على المدرسين التعريف بالمحرقة في جميع المدارس في جميع أنحاء البلد. وكانت الساعات المقترحة لتدريس المحرقة ١٢-١٥ ساعة، وهي الجزء الأول من وحدة 'قضايا حقوق الإنسان أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها'. وأعقب ذلك، في الفصل الدراسي الثاني، دراسة الفصل العنصري. ومن خلال تعرف الدارسين أولا على المحرقة ثم على الفصل العنصري يصبحون مجهزين بشكل أفضل لربط ذلك بقضايا عصرنا مثل الإبادة الجماعية في رواندا وكره الأجانب في جنوب أفريقيا (مدرج أيضا في المنهج الدراسي لهذا الصف).

وأنشئ أول مركز للمحرقة في جنوب أفريقيا في كيب تاون في عام ١٩٩٩. وكان الدافع إلى إنشائه جوله استمرت ١٨ شهرا لمعرض جنوب أفريقيا وناميبيا 'آن فرانك في عالمنا' في الفترة ١٩٩٣-١٩٩٤. ولأول مرة في تاريخ البلد، أجري عدد من حلقات النقاش الخاصة عن تاريخ انتهاكات حقوق الإنسان في جنوب أفريقيا كجزء من المعرض. وحضر

---

(٢) فريدمان ريتشارد، تعريف المشاهدين غير التقليديين بالمحرقة: تجربة جنوب أفريقيا *Teaching the Holocaust to Non-Traditional Audiences: The South African Experience*، (٢٠٠٨).

المعرض الآلاف من مواطني جنوب أفريقيا من جميع الأعمار، وبخاصة طلاب المدارس الثانوية ومربيهم. وأتاح المعرض الفرصة للمربين للتعرف على معاداة السامية. وأعطت هذه المعرفة للمربين منظورا مفاده أن العنصرية ''لا تستند فقط إلى لون البشرة وأنه حتى 'البيض' يمكن أن يكونوا ضحايا للقولبة والتمييز والاضطهاد''[٣]. وكانت استجابة المربين غير عادية. وبيّن معرض آن فرانك الدور الذي يمكن أن يضطلع به التثقيف بشأن المحرقة في جنوب أفريقيا بعد الفصل العنصري بالنسبة لإثارة مسألتي التعصب والتعسف في استعمال السلطة. وفي سياق التاريخ المؤلم للعنصرية في جنوب أفريقيا أتاح إدراك أن الناس المصنفين على أنهم 'بيض' يمكنهم أن يعانوا أيضا بنفس المقدار على أيدي 'بيض' آخرين عمليات تعلم جديدة، وما زال يتيح ذلك. وينحو مواطنو جنوب أفريقيا إلى رؤية جميع انتهاكات حقوق الإنسان من خلال منظور ''الأبيض ضد الأسود''. والتعرف على المحرقة، باستخدام نفس المنظور ''البيض قتلوا البيض''، وفي رواندا حيث ''السود ذبحوا السود''، أمر بالغ الأهمية.

وفي عام ٢٠٠٨ جرى إنشاء مركزين جديدين من مراكز المحرقة في جنوب أفريقيا. أحدهما في دربان والآخر في جوهانسبرغ[٤]. وسيكون مركز المحرقة والإبادة الجماعية في جوهانسبرغ مقرا لمعرض دائم يركز على المحرقة والإبادة الجماعية التي حدثت في رواندا في عام ١٩٩٤. كما جرى في عام ٢٠٠٨ إنشاء جهاز وطني جامع 'مؤسسة جنوب أفريقيا للمحرقة والإبادة الجماعية' من أجل إيجاد تنسيق وتماسك أفضل على الصعيد الوطني في مجال التثقيف بشأن المحرقة والإبادة الجماعية.

والنهج الذي اتبعته المؤسسة إزاء التثقيف بشأن المحرقة وتدريب المربين يستند إلى الاعتقاد بأنه رغم الأهمية البالغة لمحتوى المعرفة بشأن المحرقة ''فإن تزويد المربين والدارسين بالمحتوى فحسب لا يكفي. وينبغي إبلاغ كل من برامج المدارس والمربين بفكرة أن تاريخ المحرقة يقدم دراسة حالة إفرادية قوية لاكتشاف أخطار التعصب والتمييز ويلزم الأفراد بواجب أخلاقي لاتخاذ خيارات مسؤولة والدفاع عن حقوق الإنسان''[٥].

ولمساعدة الدارسين على توسيع نطاق المحيط الأخلاقي الخاص بهم يتعين على المربين تطوير قدرتهم على أن يظلوا محايدين في غرف الدراسة. ومن خلال استجابات المربين يبدو

---

(٣) المرجع نفسه.

(٤) افتتح مركز المحرقة في ديربان في آذار/مارس ٢٠٠٨. وأنشئ مركز المحرقة والإبادة الجماعية في جوهانسبرغ في كانون الثاني/يناير ٢٠٠٨، ويعمل الآن في موقع مؤقت. وسيفتتح المركز رسميا في عام ٢٠١٢ عند الانتهاء من مقره الجديد.

(٥) بيترسن، تريسي. دروس للإنسانية *Lessons for Humanity*، ٢٠٠٦، الصفحة ١١.

أن التعريف بالماضي المؤلم للفصل العنصري مهمة صعبة وعاطفية. ولا يستطيع الكثير من المربين الفصل بين تاريخهم الشخصي وتاريخ المناهج الدراسية المطلوبة، وهم يجدوا أن التعريف بفترة الفصل العنصري أمر يزداد صعوبة. ولهذا السبب يشكل التعريف بالمحرقة، بوصفها دراسة حالة إفرادية لانتهاك حقوق الإنسان، مدخلا ممتازا لكل من المربين والدارسين؛ وقد حُذف هذا التاريخ من التجارب المحلية حيث وقع في بلد آخر وقارة أخرى منذ أكثر من ٦٥ عاما، كما انه يثير مشاعر أقل لدى مواطني جنوب أفريقيا. ولهذه الأسباب يمكن لهذا التاريخ أن يجعل مواقف وتحيزات شخصية مثل العنصرية وكرة الأجانب تطفو على السطح بدلا من أن تظل مخفية. ولا يمكن معالجة هذه القضايا إلا عند الكشف عنها. وتبين نتائجنا أن من الأسهل أن يتعلم المرء قيما ودروسا أخلاقية من تاريخ حذف من خبراته رغم وجود بعض المقارنات بينه وبين تاريخ البلد. ويبدو من تعليقات المربين أن ''التعرف على المحرقة أوجد الفسحة العاطفية ليتكلم المربين صراحة عن خبراتهم''. ومع ذلك فبانتقال المربين أولا إلى التاريخ المتطرف للمحرقة كانوا أكثر استعدادا وقدرة على البدء في دراسة تاريخهم المؤلم.

وجنوب أفريقيا لديها تراث شفوي عظيم، واستخدام رواية القصص لاكتساب المعرفة والقيم والآداب والأخلاقيات يطرح نفسه بصورة طبيعية. و استخدام التاريخ الشفوي وشهادات الناجين والمرتكبين والمتفرجين والمقاومين يمكنه بث الحياة في محتوى المحرقة فضلا عن الدروس المستفادة منها. وفي أي دراسة عن المحرقة فإن العدد الضخم للضحايا يصعب إدراكه. ومشاركة شهادات الناجين مع الدارسين يمكن أن يذكرهم بأن هذه الأرقام وراءها أشخاص مثلهم، لديهم والدين وأشقاء وأصدقاء وجدود. واستماع الدارسين لشهادات الناجين وتعلمهم منها يساعدهم على إمعان النظر في مسألة الخيارات والارتباط بالدروس التي يمكنهم تعلمها من هذا التاريخ. ويدعو المنهج الدراسي أيضا إلى استخدام التاريخ الشفوي في غرف الدراسة، ويجري تشجيع الدارسين على إجراء مقابلات على سبيل المثال مع الأشخاص في مجتمعاتهم المحلية والربط بينهم وبين حياة الدارسين الخاصة. والتاريخ الشخصي أداة هامة لتمكين الدارسين من النظر في حياتهم واستخلاص الدروس من قصصهم. وفي جنوب أفريقيا يوجد عدد قليل جدا من الناجين والمنقذين، كما أن ما بقي من شهود على هذا التاريخ يهرمون. ويمكن تعويض ذلك بنجاح كبير باستعمال الأفلام. وأنتجت مؤسسة جنوب أفريقيا للمحرقة والإبادة الجماعية فيلم الشهادة، حيث تشاطر خمسة من ضحايا المحرقة الذين استقروا في جنوب أفريقيا شهاداتهم بشأن المحرقة. وتبين أن الفيلم مصدر تثقيفي قوي جدا. وجرى إنتاج فيلم قصير آخر خلال زيارة لجنوب أفريقيا قامت بها الناجية هانا بيك – غوسلار التي تروي قصة المحرقة من خلال تصورات

بشأن صداقتها مع آن فرانك. ويمكن أيضا استخدام الأدب بنجاح لسماع أصوات الشهود. كما يمكن استخدام ما يكتب في اليوميات أو مقتطفات من مذكرات مثل 'يوميات آن فرانك' أو أعمال إيلي ويزيل ('ليلة' على سبيل المثال) أو مذكرات بريمو ليفي 'إن كان هذا رجلا' كمصادر وأدوات رئيسية لتعزيز تقاليد سرد القصص.

ويمكّن التثقيف بشأن المحرقة الدارسين من الربط بين الماضي والحاضر وترجمة ذلك إلى نشاط اجتماعي. ويهيئ تدريس تاريخ المحرقة الفرصة للدارسين للتفكير مليا في نتائج الخيارات التي قد يواجهونها في حياتهم اليومية عن طريق فحص نتائج خيارات الأشخاص أثناء المحرقة. وتساعد الدراسة الإفرادية للمحرقة الشباب على الاستجابة بشكل أكثر فعالية لواقعهم الراهن. والأمل معقود على أن يتمكن الدارسون من الانتقال من معرفة ''ما ينبغي عمله'' إلى عمله بالفعل. وتوجد فرص أخرى قليلة جدا في المنهج الدراسي حيث يمكن للدارسين تعزيز معتقداتهم وتعلم كيفية القيام بعمل عن طريق فهم العوامل التي تعوقهم عن القيام به.

وفهم دور المتفرجين واختيار القيام بعمل أمر هام للغاية، وبخاصة في ديمقراطية فتية مثل جنوب أفريقيا. وجاب فان بروسديج، وهو منقذ هولندي (اعترفت به هيئة ياد فاشيم في القدس على أنه من الصالحين بين الأمم) أنقذ حياة عشرات اليهود في هولندا أثناء المحرقة وعاش في بريتوريا، جنوب أفريقيا حتى وفاته في كانون الثاني/يناير ٢٠١١. وعندما سُئل بروسديج ''لماذا فعلت ذلك''؟ أجاب بأن سأل: ''إذا رأيت رجلا يغرق، ألا تنقذه؟[٦]''. وكان هذا السؤال بالنسبة لبروسديج سؤالا بلاغيا. ولكن مما يؤسف له أن الإجابة ليست واضحة تماما بالنسبة للكثيرين. فمعظم الناس لن ينقذوا الرجل الغريق، سواء كان ذلك خوفا على حياتهم أو لمجرد تفكيرهم أن شخصا آخر يسبح بشكل أفضل منهم سيقوم بإنقاذه، أو عليه أن يفعل ذلك. وتشجع قصصا مثل قصة جاب فان بروسديج الدارسين على استخدام التفكير النقدي واستحداث أدوات للتعامل مع هذه المآزق الصعبة. ومرة أخرى، يمكن لتجهيز قضية الخيارات أن يمكن الدارسين، ويُجرى من خلال التعرف على أدوار المتفرجين والمنقذين والمقاومين (المناضلين)[٧]. ومن المهم أن يتفهم الدارسين أن بإمكانهم أن يختاروا التصرف كمتفرجين أو لا يختاروا ذلك. وإدراك أن هناك خيار مسألة بالغة الأهمية. وقد كانت هذه هي الحالة خلال المحرقة، ولا يزال هذا صحيحا اليوم. وقال بريمو ليفي ''على

(٦) محادثة بين جاب فان بروسديج وتالي ناتيس في عام ١٩٩٨.

(٧) المناضلين كلمة جديدة بالنسبة للنص الإنكليزي، ابتكره برنامج مواجهة التاريخ و مواجهة أنفسنا لوصف الأشخاص الذين يختارون القيام بعمل بدلا من عدم التحرك.

الرغم من تنوع إمكانيات الحصول على معلومات فإن معظم الألمان لم يعرفوا لأنهم لم يريدوا أن يعرفوا. لأنهم بالتأكيد أرادوا ألا يعرفوا"[٨]. وفي الواقع، فقد قدم المتفرجون دائما المساعدة إلى المرتكبين بمجرد صمتهم. ومرة تلو الأخرى، وجد الدارسون أنفسهم، مثلهم مثل الباقين منا، في موقف المتفرجين الذين يقفون قريبا ولكنهم لا يشاركون فيما يحدث، ويشلهم الخوف أو الإحساس بالعجز. وأدرك الدارسون، بالتعلم من المتفرجين على المحرقة، أن سلوك المتفرجين هو اختيار عدم التدخل والوقوف جانبا والنظر. وعواقب هذا النوع من السلوك هي نفس العواقب، سواء في حالة التنمر في المدارس أو في حالة المشاجرة. ويمكن للدارسين البدء في الربط بين هذا المفهوم وبين المرحلة الأوسع نطاقا من تاريخ البلد أثناء الفصل العنصري. وأثناء أحداث الشغب المتعلق بكره الأجانب في أيار/مايو ٢٠٠٨، هيأ أحد المربين، الذين حصلوا على تدريب مكثف يتعلق بالمحرقة، الفرصة للدارسين، عند تعريفهم بالمحرقة، لعمل ملصقات ولافتات والتظاهر خارج المدرسة ضد هذه الهجمات. وترجم الدارسون الدروس المستفادة من المحرقة بأن يصبحوا هم أنفسهم مناضلين.

ومن الفرص الأخرى التي يتيحها التعريف بالمحرقة تسليط الضوء على الصلات بين مختلف حالات الإبادة الجماعية وانتهاكات حقوق الإنسان والتعصب. وفي نيسان/أبريل ١٩٩٤ عندما كان مواطنو جنوب أفريقيا يحتفلون بتحررهم من الفصل العنصري وكان الناس يقفون بفخر في الطوابير لعدة ساعات للتصويت، قُتل الآلاف من التوتسي وبعض الهوتو المعتدلين سياسيا في فترة ثلاثة أشهر في رواندا في نفس القارة على بعد ثلاث ساعات ونصف طيران فحسب، إلا أن معظم المربين والدارسين لا ينظرون في هذين الحدثين الموازيين ولا يربطون بينهما. ويتيح تقديم المحرقة والدروس المستفادة منها الفرصة للقيام بهذا الربط.

ولخص رئيس الأساقفة الفخري ديزموند توتو، وهو أحد مناصري مؤسسة جنوب أفريقيا للمحرقة والإبادة الجماعية، الفرص التي يتيحها التعريف بالمحرقة في جنوب أفريقيا عندما قال:

"نحن نتعرف على المحرقة بحيث يمكننا أن نصبح أكثر إنسانية وأكثر دماثة وأكثر اهتماما وأكثر رحمة، ونقدر كل شخص بأن له قيمة مطلقة، ثمينة للغاية بحيث نضمن أن تلك الفظائع لن تتكرر مطلقا وأن العالم سيصبح مكانا أكثر إنسانية"[٩].

---

(٨) ليفي، بريمو. البقاء على قيد الحياة في أوشفيتز والصحوة: مذكرتان. (Survival in *Auschwitz and the Reawakening: Two Memoirs*) نيويورك: Summit Books، ١٩٨٦، الصفحة ٣٨١.

(٩) المحرقة، دروس للإنسانية، كتاب مصادر الحوار للدارسين، *The Holocaust, Lessons for Humanity, Learner's Interactive Resource Book*، كيب تاون ، ٢٠٠٤، الصفحة ٦٤.

أسئلة للمناقشة

١ - لماذا تم اعتماد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان واتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها في عام ١٩٤٨؟

٢ - ما هي الصلات التي يمكن للطلاب إقامتها بين المحرقة والإبادة الجماعية في رواندا والفصل العنصري في جنوب أفريقيا؟

٣ - ناقش السبب في أن المحرقة أصبحت جزءا من المنهج الدراسي للتاريخ في جنوب أفريقيا. وهل يمكن للتثقيف بشأن المحرقة أن يساعد على تدريس تاريخ جنوب أفريقيا؟ وإذا كان الأمر كذلك، فبأية طريقة؟ (ربما، بدلا من ذلك، يمكن أن يكون الجزء الأول من السؤال: هل تعتقد أن ينبغي أن تشكل المحرقة جزءا من منهج تدريس التاريخ في جنوب أفريقيا؟)

٤ - كيف يمكن أن ييسر التثقيف بشأن المحرقة تعزيز التسامح في مجتمع جنوب أفريقيا المعاصر؟

٥ - هل تعتقد أن تدريس قصص من المحرقة، وبخاصة عن دور المنقذين والمتفرجين، يمكن أن يساعد الأجيال الأصغر سنا على فهم نتائج أعمالهم بشكل أفضل؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف؟

تالي نيتس، مديرة مركز المحرقة والإبادة الجماعية في جوهانسبرغ. وقد ألقت محاضرات على الصعيد الدولي عن التثقيف بشأن المحرقة ومنع الإبادة الجماعية والمصالحة وحقوق الإنسان. وقدمت أبحاثا في مؤتمرات عديدة ونشرت كثيرا من المقالات وشاركت في أفلام وثائقية أُعدت للتلفزيون في جنوب أفريقيا. وفي عام ٢٠١٠ اختيرت السيدة نيتس واحدة من الشخصيات المائة الأولى التي تستحق أن تحظى بتغطية إعلامية والنساء الجديرات بالذكر في جنوب أفريقيا، مما جرى نشره في Mail & Guardian Book لنساء جنوب أفريقيا. وعملت السيدة نيتس كعالمة بالكثير من بعثات التثقيف بشأن المحرقة إلى أوروبا الشرقية فضلا عن بعثات تثقيفية في جنوب أفريقيا ورواندا وقائدة لتلك البعثات. والسيدة نيتس أيضا واحدة من مؤسسي منظمة 'خدمات الناجين من المحرقة'، في جوهانسبرغ، التي تقدم خدمات اجتماعية وتثقيفية ونفسية للناجين وعائلاتهم. والسيدة نيتس من أسرة من الناجين من المحرقة - فوالدها وعمها أنقذهما أوسكار شندلر، إلا أن باقي أفراد الأسرة لقوا حتفهم.